سلسلة إصدارات
مكتبة القاهرة الكبرى

عرفة عبده علي

القاهرة بالفرشاة الأوربية

صور ومشاهد
من الحياة الاجتماعية

عرفه عبده على

«القاهرة بالفرشاة الأوروبية»

صور ومشاهد
من الحياة الاجتماعية

«كم شيدنا منذ صبانا مدنا من تصميم خيالنا، كنا نتمنى لو شاهدناها فى الواقع، غير أن حظنا لم يمنحنا أن نسكنها إلا فى أحلامنا.. وكانت لنا قاهرتنا التى نسجناها من عناصر ألف ليلة وليلة، المتناثرة حول ميدان الأزبكية الذى صوره لنا ماريلا.. أننى مدين له برؤياى عن الشرق...»

« تيوفيل جوتيي»

«حقا إن الشرق يبدأ من القاهرة»·· هذه الكلمة الشهيرة التى قالها الأديب الرحالة الفرنسى«جوستاف فلوبير»·· يوم كان للقاهرة غموض السحر الذى اجتذب الرحالة والأدباء والفنانين الأوروبيين، فى رحيلهم اليومى المغامر، فحركت فى نفوسهم الحنين المضطرم إلى عبق الصحارى وصخب الزحام وواجهات الحوانيت ودفء الحياة وروائح التوابل والثياب المزركشة وآثار الماضى العريق وأساطير ألف ليلة وليلة، ليرسموا لنا مشاهد تنبض بالحياة، متباينة الألوان والضلال لمجتمع القاهرة فى زمانها الجميل··

وكانت جولانى بين كتب الرحالة وإبداعات الفنانين الأوروبيين – فى مكتبات المعاهد الأجنبية ومكتبة القاهرة الكبرى – قد أوحت لى بفكرة هذا الكتاب، الذى يتضمن روائع مدارس مختلفة من الفن الإستشراقى الأوروبى، والتى لم يسبق نشرها فى المكتبة العربية، وإنطباعات هؤلاء الفنانين عن«قاهرة الشرق»·· وصور ثبتت لحظات زمنية من تاريخ القاهرة وتراثها، شوارع وأسواق وبيوت ومقاهى وحريم، وقباب ومآذن تشهد بروعة فنون العمارة الإسلامية، ومشاهد من الحياة اليومية أذهلت هؤلاء الفنانين بتنوع وثراء موضوعاتها·· باقة يتضوع شذاها بعطر الماضى الجميل·· أضعها بين يدى محبى الفن وهواة التاريخ وعشاق القاهرة !

عرفه عبده على

تقديم :

استبقت المعرفه الشرقية – صورة الواقع الشرقي – فى أذهان الرحالة والفنانين الإوروبيين، فكان نزوعهم نحو الشرق– ملتقى الحضارات القديمة – هو نزوع معرفى مرادف للإبداع والإلهام، بحثا عن«النموذج» الذى ارتسم فى مخيلتهم وادراكهم وعن:«الرائع» و«الجميل»٠٠و«الرومانسى»٠٠٠٠وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت قد تشكلت منظومة فكرية – فنية متكاملة من روائع الأدب وفن التصوير، أسهمت فى اكتشاف عالم الشرق ومميزاته الجمالية٠

ـ كان الشرق هو عالم« الأحلام»٠٠٠ الذى يتوافق أو يندمج فى عالم الواقع، فسعى هؤلاء الرحاله والفنانين – عن طريق التجاوب فى المشاعر– إلى التوغل فى جوهر الحضارة الشرقية٠*

ومما لاشك فيه أن ابداعات الرحاله ومشاهدات الحجيج وتقارير الباحثين والارساليات والقناصل والخبراء وضغوط المصالح السياسية – خاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر – قد أسهمت فى إزدياد كثافة الوعى العام بالشرق٠٠٠

ـ ومنذ سنوات بعيدة، والغرب يتطلع إلى اكتشاف:«الآخر»٠٠ والوقوف على أسرار الحضارات «الأجنبية» الغامضة٠٠ تطور إلى رغبة فى إتصال مباشر وفيزيقى مع: الغريب والعجيب والمثير جدا٠

وقد فتح«هيرودوت»الطريق، عندما لفت أنظار اليونان إلى عالم غير يونانى عالم جسد له فكرة «الاغتراب» ومثل له أيضا: مدرسة للحكمة٠

وسجل علماء وفنانو حملة نابوليون كل مشاهداتهم فى مصر، فى الموسوعة الخالدة«وصف مصر موثقة بلوحات الفنانين المبدعين، فى حصاد رائع للحملة الفرنسية، فى جانبها الحضارى الإنسانى٠

---

* د٠ زينات البيطار: الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢٠ص ٢٢٩٠

فى عـام ١٨٤٢، تحـدث «ادجار كـينيـه» - « Edgar Quinet» عن «نهـضة شرقـية» حـامله لـ «إنسانيـة جديدة»٠٠ جديرة بأن تثرى الميـراث اليونانى - الرومانى٠٠٠٠ تطلب الأمـر-إذن- إعادة النظر فى«المعرفة الغربية للشرق»٠

فالانجـذاب إلى الشرق تعدى مرحلة الـدهشة والإنبهار بالأشـياء الغريبـة، والحلم الرومانسى الذى أسهم فى تدعيم أسطورة - الشرق الأبدى - واختلاط الماضي بالحاضر فى خيالات القراء والرحاله الأوروبيين، تبـدل إلى محـاولة اكتشـاف جديد للـشرق القديم: أصـل التاريخ والإنسـانية، ومـهبط الديانات، ومحـتوى أسرارالحضـارات القديمة، وانطلقت الرغبـة فى معرفـة أدق عن الآخرين، ترقب وترصد- التقـاليد والعقائد الإسـلامية التى شكلت الشـرق الحديث - ومع التوسع فى الاكتـشافات الأثرية وفك طلاسم الكتابات القديمة وقراءة نصوصهـا إزداد الأمل فى اكتشاف فلسفى جديد٠٠ قد يسهم فى إعادة صـياغة الحياة وأشكالها المادية فـالشرق يمثل دائما- فكرة الاستـقـرار- أمام العالم الأوروبى المتغير٠٠!

خلال القرن التاسع عـشر، أصبح الشرق: أعظم ملهم للفنانين، بما يعرضه من مـوضوعات جذابة٠٠ وتفسير خاص لظاهرة الضوء، ولذلك كـان«تيوفيل جوتييه» «TH. Gauthier» يحث الفنـانين على الرحـيل إلى الشرق ، الذى أصـبح«ضروريا مـثل الحج إلى إيطاليـا» لمشاهدة الشـمس٠٠ والحيـاة الفطرية٠٠ والمشاهد العجيبه٠٠ والألوان الحيه٠٠ والمفارقات المدهشة٠

فى عام ١٨٥٨، كتب الفنان الألمانى الشهيـر«كارل هاج» إلى أصدقائه من الفنانين والرحاله والأدباء الأوروبيين« إن هؤلاء الذين يبحثون عن مادة مثيرة يستلهمونها فى ابداعاتهم عليهم أن يتوجهوا إلى القاهرة - هى قاهرة واحدة فى العالم كله - تتـألق فى وقار وجلال على ضفاف النيل العظيم، وبين روابيهـا الخضراء وتلالهـا الذهبيـة وآثار الفراعنة، وتراثها الإسـلامى العريق، مـازال ماثلا فى كل مظاهر الحيـاة فيهـا، وتتجلى عـبقرية المكان والزمـان والالهامات المبـدعة، ولا شك أن خـيال الفنان سيصيغ من هذا الواقع روائع شرقية خالدة»٠*

وتبدلت الرؤيـة الاستشـراقية - خـاصة مـابعد عام ١٨٦٠- بينـما فقـد الحلم الرومانسى سـحره وجاذبيـته،ومع تطور الأبحـاث الخاصة بـالضوء وإختـرع آلة التصـوير، تنامى التيـار الواقعى فى

---

*Gerald M. Ackermam : les orientalis de L'ecole Britanniaque, Paris,1990 P139.

النصف الثانى من القرن التاسع عشر، مما آدى إلى التجديد فى الرؤية والتعبير عن الشرق بالرسم والتصوير الفوتوغرافى، ووضحت الرغبة فى فهم وتحديد- مشهد ما - على حقيقته، دون تجميل أو تزييف٠٠ وإهتم الفنانون بتقديم مشاهد حقيقية بتفصيلات وتركيبات محددة، أمينة وصادقة ' ولم تستمر الصورة المبهرة للشرق، إلا لتغذية مشاهد أدبية خصبة، تركت آثارها فى كتابات «بييرلوتى-Pierre Loti» وفى الوقت ذاته، كان بعض الفنانين يحاول أن يبتكر مشاهد جمالية، تحفظ للشرق سحره وفتنته، ولو بإستخدام ديكورات عجيبة !

ومع بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر، تغلب التيار الواقعى للتصوير الاستشراقى، وتبدلت المفاهيم والمعانى، فكان للتيار الرومانسى سمة بارزة تتلخص فى معنى محدد:

«كل الخيال - Toute d'imagination» فأعقبه عصر:

«كل الملاحظة Toute d'observation» أو الرصد، ومالبث التصوير

الاستشراقى أن تحول إلى «تحقيق عن الشرق- Enquete sur l' orient» ٠ *

انتشار الفن الاستشراقى:

منذعام ١٨٧٠، لم يعد الفن الاستشراقى قاصرا على الفرنسيين والبريطانيين فحسب، فعقب الحرب ضد بروسيا، استقبلت باريس عددا كبيرا من الفنانيين الأوربيين والأمريكان٠٠ والبعض منهم كان قد حقق شيئا من الشهرة فى بلاده٠

وأكثر هؤلاء قد سجلوا أنفسهم فى «مدرسة الفنون الجميلة بباريس-L'Ecole des beaux arts» لدى الرحاله والفنان العظيم:« جان ليون جيروم-Jean Leon Gerome»

لقد اجتدبتهم باريس ، أكثر من مدرسة الأكاديمية الملكية بلندن، التى كانت تفتقد مراسم يديرها أستاذ ذائع الصيت، كما هو الحال فى فرنسا، أضف إلى ذلك ، عدم وجود نظام للمكافآت وضعف إحتمالات الإنطلاق إلى آفاق الشهرة، خاصة للطلبه الموهوبين٠ وفى واقع الأمر، لم تكن شهرة الفنانين البريطانيين، تتجاوز الأوساط الفنية الأوربية،بالرغم من مشاركتهم فى معارض عالمية

* د٠ ادوارد سعيد : الاستشراق ، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت، ١٩٨٠،ص٧١

فى باريس، فى السنوات: ١٨٥٥، ١٨٦٧، ١٨٨٩، ١٩٠٠ وربما يرد ذلك إلى إحساس مفرط بالإقليمية أو لأنهم وجدوا أن الأستاذية الفرنسية جديرة بالتقدير٠٠ لكن تنقصها الحرارة٠٠! *

ولم يكن كل المستشرقين قد تأسسوا فى باريس أو لندن، فالنمساوى:«ليوبولد كارل مولر- L. carl muller والأسبانى:ماريانو فورتونى مارسال-Mariano F. Marsal» كان الداعى الأول فى إيطاليا، للأهمية المتجددة للشرق٠

وفنانون من سويسرا وألمانيا وبلجيكا والدول الاسكندنافية، توجهوا إلى الشرق- مصر خاصة - وكانوا يعرضون أعمالهم فى بلادهم٠

والخلفية التوراتية وصلتها العميقة بالشرق، كانت واضحة فى أعمال الفنانين الفيكتوريين، أمثال: «دافيد ويلكى-David Wilkie» و«هولمان هنت - H. Hunt» و«فردريك جودول- F, Goodall » كما تجلت أيضا فى أعمال الفرنسيين:«جيمس تيسو- J. Tissot» و« هوراس فيرنيه- H.Vernet»٠

فكانوا يرتحلون بحثا عن« الديكورا ت الحقيقية» للموضوعات الدينية خاصة، مع قناعة تامة بأن تصوير تلك المواقف والمشاهد، هى بمثابة بعث للأزمنة الغابرة٠

وتجددت النوازع الروحية فى - إنجلترا الفيكتورية - بتأثير نجاح المناظر التوراتية التى أبدعت فى ديكورات فرعونية٠٠

وكانت الموضوعات التاريخية فى أعمال:ادوارد بوينتر- Ed. Poynter» و« سيرلورانس الما- تيدما-Sir L. Alma - Tadema» و «ادوين لونج-Edwin Long» تكاد تشبه الانجازت الأولى لهوليوود٠٠٠!

وعندما أصبح الفن الاستشراقى«موضة العصر»٠٠ حظى أيضا بإهتمام فنانين لم يذهبوا إطلاقا إلى الشرق وكان أشهرهم الكلاسيكى: جان أوجست دومينيك انجر- J, A. Dominique Ingres» فى عام ١٨١٤ كان قد أبدع لوحته «المحظيه»- (Musee du louvre, Paris) وفى عام ١٨٣٩، أنجز لوحته الشهيرة:«الجارية والعبد»(Fogg museum of Art, Cambridge» ثم فى عام ١٨٦٢، أبدع لوحته الأشهر« الحمام التركى»٠٠ (Musee du Louvre, Paris)٠

---

*Hautecoeur L: La Litterature et Peintres en France de xvii au xix Siecle ,Paris, 1963, P86.

وقد أدت حـرب القرم ١٨٥٤-١٨٥٥، وإفتـتاح قناة السـويس عام ١٨٦٩ إلى وضـع منطقـة الشرق الأوسـط – من جديد على رأس الأحـداث، فقد أرسل عدد من الفنانين لتـسجيل تلك الأحداث، وكـثير من بينهم، أهتموا بتسجيل مشاهد من الحياة اليومية فى الشرق٠ *

وبينمـا تزايدات الأفواج السـياحـية، بإشـراف شركة «تـوماس كوك»٠٠ مـزودين بآلات التصـوير الفوتوغرافى، نجد أن أسـاليب الحياة والأزياء الأوربيـة،قد تسللت إلى الأوساط الحكومية فى القاهرة وتركيا، وسيدات المجتمع قد هجرن ملابسهن التقليدية، ليرتدين« الكرينول– Crinoline» من بـيت أزياء «وورث» والفنانون أنفسهم يحاولون الإبتعاد عن كل المظاهر الأوروبية !

وقد اشتـملت روائع الفنانين الأوربيين فى أكثرها على« المآذن البـاسقة البيضـاء، التى تسبغ الأتزان على التكوين الفنى، خـاصـة فى أعمـال: كرابليـة، ووالتر تيندال، باسكال كـوست، روبرتس، ماريلا، توماس ألوم، ادوارد ليـر، وسجل جان ليـون جيروم مـشهدا للمـؤذن ينادى للصلاة بينمـا تتراءى مـآذن القاهرة المملوكـية، تمتـد رشيـقة فى أفق تـغشـاه حمـرة الغسق، وتتـجلى براعة المصـورين البـريطانيين: دافـيد روبرتس وجـون فردريك لـويس– بوجه خـاص– فى تصـوير روائع العمـارة الإسلامية فى إطار من مسحة رومانسية٠ !٠٠

أمـا رائد التصـوير البريطانى« وليـام بارتليت» الذى قـام بخمس رحـلات إلى الشرق، فـقد كـانت فلسطين – الأرض المقدسـة– محور إهتمـامه لشغفـه بالشخصيـات والمواقع التى وردت فى الكتاب المقدس٠

كما إتجـه معظمهم إلى تسـجيل المشاهد الأكثـر حيوية وتألقا: حـرس نوبى بهيئتـه المهيبة، الـصيد بالصقور، الجياد الكريمة والصحراء، نساء يرتدين أفخـم الثياب، يستلقين فى استرخاء فى معاقلهن، وأسواق صاخبة زاخرة بالناس٠٠ وانطباعات سحرية لاتنسى عن الحياة الشرقية!٠

*Carre J.M: voyageurs et ecrivains en Egypte, IFAO, le caire.1932,vol: 1,P26

الفن هنا.. يهيم فى الشوارع

أوجست ديلاكرو

لقد شكلت «القاهرة»زاوية الدفء والحلم الجميل فى ذاكرة الكثيرين، فكانت رحلة واحدة - كافية للبعض منهم- ليختزن تصورات ثرية عن «قاهرة الشرق» ·· عن الطبيعة الساحرة وفنون العمارة المبتكرة وصخب الحياة وتنوع الألوان. وكنوز الماضى التى شكلت طوقا بديعا من الحضارات التى تألقت على صدر التاريخ·

كانت القاهرة فى القرن التاسع عشر، فردوسا لفنانى أوربا، الذين خلفوا لنا ثروة من إبداعاتهم الفنية الخالدة، تبعث قاهرة الشرق حية فى خيالنا، بالرغم من موجة التحديث التى نالت من طابعها المميز فى ذلك العصر، إلا أنها ظلت قادرة - بسحرها الخاص- على أن تخلب ألباب هؤلاء الفنانين، فتباروا في تسجيل مشاهداتهم لواقع القاهرة، آثارها، أسواقها، شوارعها، صخب الحياة الشعبية، بعيدا عن تداعيات العالم السحرى الغامض لقصص ألف ليلة وليلة !

ويذكر بالفضل·· أسرة محمد على باشا- مؤسس مصر الحديثة- الذى أراد أن«يترجم» الحضارة الأوربية، فاستقدم وخلفاؤه أشهر الفنانين الأوروبيين لتزيين سراياتهم الملكية، فشكل هؤلاء حركة فنية أوروبية مستحدثة يميزها طابع رومانسى يستلهم ابداعاته من تفاصيل حياتنا اليومية·

فى القاهرة، عاش هؤلاء الرحاله والفنانون، حاضر مصر وماضيها القريب، قبل أن يوغلوا فى أعماق تاريخها القديم، فسجلت أقلامهم انطباعاتهم فى حس مرهف ····· وعانقت فرشاتهم معالم القاهرة وحاورت تفاصيل حياة المصريين المعاصرين، فى بهجة تجذب القلوب وتأسر الألباب·

وكثير من الأدباء والفنانين الذين رحلوا إلى مصر، كانوا مزودين بقراءاتهم عنها فى الآداب الكلاسيكية والمعاصرة ودراسات الاستشراق الاكاديمى، إلا أن الناحية الجمالية البحتة هى التى استأثرت باهتماماتهم، إجتذبهم سحر حياة الشرق فى القاهرة، فعايشوها واندمجوا فيها، حريصون أن يلزموا أنفسهم ماتوحى به مشاعرهم وأحلامهم، فلم يحفلوا بلغة الاستشراق المعهودة عن سيطرة الغرب على الشرق، ولم يبالوا بأن يكون انتاجهم وإبداعهم يتفق وتوجيهات حكوماتهم

الاستعمارية !

ومع بداية العصر الڤيكتورى، اجتذبت فنون العمارة الإسلامية، وصخب الحياة اليومية لأهل القاهرة - بأدق تفاصيلها - الكثير من الفنانين الأوربيين، ومنهم من أقام بها لعدة شهور، ومنهم من راقت له الحياة، فامتدت إقامته لعدة سنوات !

من بين هؤلاء: جون فردريك لويس، داڤيد روبرتس، هنرى والسن، كارل مولر، جون ڤارلى، لودفيج دويتش، ماريلا، جيروم، ماكوفسكى٠٠٠

الفنان «لويس - John Frederiek Lewis» أبرع وأشهر المستشرقين البريطانيين، عاش بالقاهرة من عام ١٨٤٢ إلى عام ١٨٥١، يحيا حياة «أكلوا اللوتس»٠٠ كما أشار صديقه «ثاكراى- Thackeray» معرضا بقصيدة«كوليردج» التى تصف هؤلاء الذين يجدون النسيان فى أكل بذور زهرة اللوتس !

بدأ لويس حياته: رساما بالألوان المائية، وقد حقق نجاحا باهرا فى صالون:«جمعية الألوان المائية «فى عام ١٨٥٠ بلوحته الشهيرة«الحريم»٠٠

وقد تميزت لوحات لويس بالدقة المتناهية، وثراء ووضوح التفاصيل والتجديد فى إختيار موضوعاته، بعيدا عن «الاستعراضات الرومانسية»أو٠٠ الكليشيهات التقليدية عن الشرق: كأسواق العبيد، والآثار، والحريم٠٠ فقد كان ينظر بعين واقعية إلى كل مايحيط به من مشاهد لحياة القاهرة، مبتكرا« لوحات هادئة» مستلهمة من صميم الحياة اليومية محافظا على تقاليد العصر الإيقونية، حتي وهو يبدع مشهدا شرقيا شعبيا، مثل كاتب الرسائل فى السوق.

بالإضافة إلى ذلك، عندما كان يرسم المنازل وقصور الشرق الفاخرة، فقد كان يهدف بالأساس إلى التعريف بثقافة عريقة، كانت فى مفهوم الغرب - حتى ذلك الحين - ثقافة بربرية ! *

ومن الأهمية أن نعرض لبعض انطباعات هذا الفنان العظيم، التى دونها فى مذكراته، ومشاهد اثارت خياله فى شوارع القاهرة، فيصف: بعض النساء المصريات اللائى تحجبن تماما، ماعدا وجوههن الرقيقة و«سيدات تركيات قد ارتدين عباءاتهن السوداء، يسارع فى خدمتهن عبيد فى ملابس ملونة بألوان قوس قزح »!٠٠

---

*Thornton L.: les orientalistes, Peintres voyageurs 1828-1908, Paris,1983,P.138

ويصف« سوق العبيد» فيقول:« ·· أحد الأماكن التى افضلها، مع أننى لم أكن رسام أشخاص- كان السوق قائما فى فناء مفتوح، محاطا بالاروقة على الطريقة الرومانية، والعبيد معروضين للبيع فى وسط هذا الفناء، وكان عددهم نحو الأربعين معظمهم من الشباب، وبعضهم أطفال، كان مشهدا مثيرا·· بالرغم من أننى لم أكن شاهدا عليه·· كما كنت أتخيله دائما مشهدا يبعث على الاسى والحزن·· والجوارى الجميلات، يلزمن غرفة أعلى الفناء: بصفة عامة كن قوقازيات وحبشيات·· وغندما يتقدم أحد المشترين، أرى التاجر يرفع رداء سميكا من الصوف يغطى أجسادهن، ليعرضهن على من يبغى الشراء··!

بعض هؤلاء الفتيات، كن يتمتعن بقدر فائق من الجمال، قوام ممشوق وصدور ناهدة، وقسمات دقيقة، وعيون رائعة تنطق بمكنون مشاعرهن!·· وتلك الأوقات التى قضيتها فى القاهرة، هى أحلى ماعشت من عمرى فهذه التجمعات، والمشاهد الغريبة والأزياء والعادات العجيبة، لايمكنها أن تخاطب إلا ··«الفنان» !

أما الفنان«دافيد روبرتس» فقد أبدع ستة ألبومات رائعة للآثار الإسلامية فى كل ربوع الشرق، وقد سمح له بالرسم داخل المساجد، بعد التأكد من أن فرش الرسم الخاصة به ليست من شعر الخنزير !

فى عام ١٨٣٨، صعد روبرتس فى النيل حتي أثيوبيا، ثم جاس بصحراء سينا وفلسطين، وبعلبك ، وهو يتحلى بزى عربى·· فالفنانون الإنجليز لم يستطيعوا مقاومة إغراء العودة إلى الحياة الفطرية·· فهجروا الأناقة من أجل العمامة·· والحذاء من أجل البابوج··!

أقاموا فى الأحياء الشعبية، واقتنوا الجوارى والعبيد، ودخنوا الحشيش·· فقد ضاقوا ذرعا من تزمت العهد الفيكتورى، ولاشك أن فكرة«الحريم» كانت تعابث خيال الأوروبى كلما تذكر الشرق، وتجعله أسير حلم يرى فيه نفسه – سلطانا – محاطا بعدد من الغيد الحسان !

ولوحات روبرتس التى ضمنها كتابه الضخم:«الأراضى المقدسة ومصر والنوبة» حققت له شهرة واسعة، جعلت منه ألمع الفنانين الأوروبيين الذين زاروا الشرق، وقد سرد انطباعاته ونشاطه الفنى فى يوميات رحلته فى مصر، وفيها يصف القاهرة، بأنها مدينة لاتماثلها مدينة أخرى، بمناظر شوارعها وأسواقها العامرة وتنوع طرزها المعمارية·· بالرغم من بعض المعوقات التى أشار إليها فى مذكراته، مثل· ضيق الشوارع واكتظاظ الأسواق وفضول الناس·· فكتب قائلا *:«أخشى أن تطأنى الإبل بأثقالها فاتحول إلى مومياء، فمشهد الإبل على مافيه من جمال قد يكلفك حياتك·· يالها

من أسواق تختلط فيهـا شعوب الشرق جميعا، وأتراك ويونان فى أزياء غـريبة، وأخلاط متنافرة من البدو المسلحين، وصعاليك مشردين ونساء محجبات يمتطين الحـمير أو البغال، يحرسـهن عبيد أشداء ، وسـقاءون بقـربهم الجلدية المـميزة، وأسـواق تتنوع مـعروضـاتها بـسلع شرقـية وأوروبيـة٠٠ وأصحـاب الحوانيت فى وقارهـم، لاينزعون مبـاسم الشبك من أفواههـم ولا أعتقـد أن التدخين فى مصـر قاصر علـى الرجال وحدهم، بل إن بعض النسـاء المصريات يدخن فى بيـوتهن، ويستـخدمن نرجيلات فخمة ثمينة، كل ذلك يشكل أمـامى لوحات ماكنت أحلم بها٠٠ ولا أستطيع أن أمنع نفسى من الصياح مـتعجبـا أمام هذه المشاهد المتنوعة:« ياله مـن جمال٠٠» ياله من سحر آسـر« يالها من ملابس»٠٠ خشيت أن يعـتقد دليلى (الترجمان) أننى أصابنى مس من الجنون٠ الحـقيقة أنى كنت مذهولا من كل ماهو مـدهش وجديد أمامى، ومقتنعـا أنى وجدت نفسى على أرض بكر، وبأن هؤلاء الناس لم يسبق أن رسمهم أحد٠٠» !

وقـد برع روبرتس فى استـخدام الضـوء والظل- اسـتخـداما دراميـا- فى تصـوير أطلال مصـر القديمة٠٠ إبداع إنطوى على لمحات شجية خوفا على اندثار أعظم ماخلفته العبقرية الإنسانية٠

وكان الفنان«هنرى والسن» مبدع اللوحة:«موت شاترتون- Mort de chatterton» قد جلب مـعه بعض لوحـات عن شوارع القـاهرة، ولكنها ليـست فى حيـوية لوحات روبرتس أو لويس٠

وقـد ألهـمت القـاهرة الإسـلامـيـة، وطقـوس الحـيـاة الشـعـبـيـة، أبرع الـفنانين المسـتـشـرقين النمساويين:«ليوبولد كـارل مولر» الذى أقام بمصر عدة سنوات، وكانت أشـهر لوحاته:«السوق على أبواب القاهرة» التى تميـزت بالدقة وثراء التفـاصيل وروعة الألوان، جعلهـا تلقى كثيرا من الشـهرة الواسعة والإقبال، خاصة فى إنجلترا٠

وتمكن مـولر من إجـتـذاب إثنين من أشـهـر الرسـامين النمـساويين«لينـبـاخ- Lenbach» و«هانزمـاكـارت-H. Makart» وبالفعل زار ماكـارت مصر عام١٨٧٢، مع مجمـوعة من الأمراء، وكان شديد الإعتداد بعـبقريته، معتقدا أنهـا تضارع عبقرية«روبنز-Rubens» النمسـوى، وتميزت لوحاته بالابهه والفخامة، أشهرها لوحته الخالدة«كليوباترا»٠

والفنان الفرنسى«بروسبـير ماريلا-P. G Marilhat» الذى اصطحبه عـالم النباتات الألمانى «فون هيـجل» إلى الشرق عـام١٨٣١ لمدة عامين فـتحـقق حلمه بزيارة مـصر وسـوريا ولبنان وفلسطين،

وأبدع فى تصوير أنماط الحياة الشـرقية، وبلغ ذورة فكره الجمالى فى لوحة:«مشـهد من ميدان فى القاهرة» وأبرز فيها شاعرية حياة المدينة وواقعها اليومى.*

وقد توغل مـاريلا فى روح مصـر، وفى مملكة الضوء واللون حـتى اشتـهر باسم«مـاريلا المصرى» ومشاعره الذاتيـة أضفت على الفن الاستشراقى مـسحة رومانسية جذابة ومـؤثرة، وشكلت أشجار النخيل الباسقة والظلال الوارقـة ومياة النيل المتألقة والرمال الذهبية ومنائر المسـاجد ووجوه البشر والأزياء الشرقية والإبل وألوان السماء» مادة أحلامه المنشودة وحياته المثالية !»

وفى تقييمه لصالون ١٨٣٤، كتب «تيوفيل جوتييه-T. Gothier»«لقد حققت لوحات ماريلا صورة أحلامى عن الشرق، فـفى لوحاته أحسست بأننى قـد وجدت وطنى الحقيقـى، وحين أشحت بوجهى عن هذه اللوحات، انتابنى حنين شديد إلى الشرق».

ومن أشهر لوحات مـاريلا التى اكتسبت سحرا خـاصا وشاعرية دافقة هى لوحـات:«ساحة الأزبكية فى القاهرة»..«منظر من بولاق»..«أطلال مسـجد الحاكم».. « على ضفاف النيل»..«مـسجد باب الوزير»..«مقهى فى بولاق»..«منظر مصرى»».

كذلك اسـتقبلت القاهرة الفنان:«ليـون اوجست بيلى»تلميـذ ماريلا، فى عام ١٨٥٠، وأشهـر لوحاته «الحجيج فى طريقهم إلى مكة» التى حظيت بنجاح هائل فى صالون باريس سنة ١٨٦١.

أيضا الفـنان الفرنسى«شـارلز فرير-Ch. Th. Frere» الذى كان من المسـتشـرقين البارعين، زار القاهرة عدة مرات، وأتخذ لنفسه مرسـما بها، وظل صالون باريس يعرض ابداعاته عن مظاهر حياة الشرق، ومشاهد عن النيل والصحراء، منذ عام ١٨٣٤ حتى عام ١٨٨٢.

وبالإضـافـة إلـى هؤلاء الأعـلام من الفنانـين، كـان هناك أجـيـال من الـفنانين منهم علـى سـبـيل المثـال:«هوراس فرنيـة-H. verntet» و«ادريـان دوزاتـس-A. Dauzats» و«شـامـارتان-Ch. Champmartin» و«برشير-M. Berchere» و«جان ليون جيروم- E. L. Gerome» والذى كان من أشهر الفنانين الأوروبيين...

خلال الـنصف الثانى من القـرن التاسع عـشر، هام عـشقـا بمصر واسـتحـوذت الآثار الإسلامـية والفرعونية على اهتماماته،التى اتسعت لتشمل تفاصيل الحياة اليومية والأحداث التاريخية.

د. زينات البيطار: مصدر سابق، ص ٢٦٤

ولايمكننا أن نغفل الفنـــان الروســـــى» قســــــطنطين ماكوفســــكى ـ C.Makovsk»
ولوحته الشهيرة:«المحمل» التى أبدعها عام١٨٧٠٠

وكذلك الفنان البريطانى«لويجى ماير– L. Mayer» وعشرات من اللوحات التى تمثل مظاهر الحياة فى القاهرة، والفنان الأديب» وليام بارتليت–W. Bartlett» الذى إهتم كثيرا بتـاريخ وشخصيات الكتاب المقدس وتاريخ الشرق عامة، وكانت لوحاته تعرض فى كل أرجاء بريطانيا، أيضا الفنان«وليم مـولر– W. Muller» والفنان«إدواردلير» اللذين اجتذبهما سحـر الشرق، وإن تركز إهتمامهما على الوصف الطبوغرافى للمنطقة٠

أما الفنان الأديب الفرنسى العظيم:«اوجـين فرومانتان–E. Fromentin» الذى استجـاب لإلهامات الشرق، فقدم فى مـذكراته صورة صادقة عن مصر٠خـاصة وأن معرفته بالشـمال الأفريقى وعمق ثقافتـه قد هيأته لتفهـم مصر بشكل جيد، ولوحـاته كما عبر عنهـا– تيوفيل جوتيـيه– توحى بأنها تسجيل لانطباعات خاطفة– لمحهـا وهو ممتط صهوة جواده، وفى كلماته حماس برئ لايكذب أبدا٠٠ فيقول فـرومانتان:*«كيف يمكن تصور البانوراما العجيـبة الرائعة لهذه المدينة٠٠ القاهرة٠٠ مدينة القبـاب والمآذن التى لاتحصى والمنتشرة فى كل مكـان٠٠ تنوع لانهائى لمشاهد تتراءى أمـام عيناى بسرعة مدهشـة، أسجل كل ما أستطيع عن إنطباعاتى، برسـومات كروكيه، فى مفكرتى، مسـتخدما قلمى الرصاص المفضض الذى لايحتاج إلى تقليم»٠

ولقد سجل لـنا هؤلاء الفنانين الرحاله الأوربيين، حقبـة من تاريخ القاهرة، مشرقـة بالضوء واللون، مـتألقـة بأناقـة الإخـتيـارات، فـأبرزوا عالمنا الـشرقى، الجـمـيل الغامـض، والذى رأى فيـه هؤلاء الأوروبيين:سـحر أرواحنا ورفعة أذوقنا الجمالية والاخلاقية٠٠

كان عالمهم الخـيالى عن الشرق، مزدحم بصور مـستمدة من أساطيـر ألف ليلة وليلة، والقاهرة التى ظل للحيـاة الشرقية فـيها:طابعهـا الساحر الجذاب الطريف قـد ألهمتهم مـوضوعات مبـتكرة، رائعة ومثيرة٠٠ خلدوها بفرشاتهم صورا٠٠ ستظل تثـرى وجداننا، فالفن هنا– كما كتب ديلاكروا– يهيم فى الشـــوارع٠٠ فـقـاهرة الـشـرق هى فـردوس الفنان وحـلمـه الجـمـيل٠٠ فـيـكتب«أرثر رونيه– ArthurRone» الذى زار القاهرة عام١٨٦٤٠*

---

*Fronentin E.: Les Lettres de Jeunesse,Paris,1909

«كيف يتـأتى للمرء أن يصف تلك البـقعة السـاحرة، حيث تتـشابك الطرقات والأزقـة والميادين، فى إنتظام مفعم بسحر النزوة، فكل منزل فيها، عمل فنى تتجلى فيه الأصاله، وأبدعته يد رقيقة٠٠ كيف يمكن أن أرسم الصـمت فى الهـواء والنور المشـرق الذى يعم المنائر البـاهرة، فى تقـابله مع الضـوء الخافت الحنون الذى يشيع فى الطرقات، فيبعـث فى النفس حبورا سرمديا، وتمتزج الصورة واللون والحركة ٠٠ كل مفعم بروعة وصخب الحياة٠٠»٠

*فولكوف : القاهرة، مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة: أحمد صليحه، القاهرة، ١٩٨٦ص١٥٠

جون فردريك لويس

كانت بلاد الشرق التى نهضت فى احضانها: ابداعات فكرية وحضارية للعقل الإنسانى، تشكل عالما متوهجا بروعة الإبداع وسحر الخلود، فاجتذبت كثير من الأدباء والرحاله والفنانين الأوربيين٠٠

من بين هؤلاء، الفنان البريطانى الأشهر٠٠ جون فردريك لويسJohn -Frederiek Lewis (١٨٠٥ــ ١٨٧٦) بدأ لويس حياته رساما بالألوان المائية، وعاش فى انطواء وعزله متحفظا فى علاقاته مع الآخرين، فكانت حياته أشبه بحياة«العقاب» الذى آثر أن يعيش وحيدا٠٠! *

ترك لويس عددا من الرسائل، لكنه لم يدون مذكراته، أهم وأخصب فترات حياته، تلك العشر سنوات التى قضاها بالقاهرة، ولم توثق هذه المرحلة إلا من خلال روايات بعض أصدقائه وزائريه٠

عاش لويس بالقاهرة، مع بداية عام١٨٤٢حتى عام ١٨٥١، إستقر بمنزل رحب بحى«الأزبكية» بالقرب من باب اللوق، حيث تزيا بأزياء شريف عثمانى٠٠٠ وما من شك أنه حاول أن يقلد الارستقراطية المصرية، تماما كما فعل المستشرق«ادواردلين» الذى حاكى واقع المصريين فى أدق تفاصيل حياتهم٠٠

فى عام ١٨٤٢، إستقبل لويس، صديقه الفنان«ريتشارد داد» كما إستقبل راعى الفنون والعلوم والآداب٠٠ سير توماس فيليب٠ وفى عام ١٨٤٤ إستقبل الأديب المستشرق «وليام ثاكرى» الذى كتب عنه أروع حكاياته وأكثرها أهمية، فى الفصل الأخير من كتابه:« ملاحظات عن رحلة من كورنهيل إلى القاهرة»٠٠ ووصفه بأنه كان يحيا حياة «آكلوا اللوتس» !*

معرضا بقصيدة«كوليردج» التى تصف هؤلاء الذين يجدون النسيان فى أكل بذور زهرة اللوتس ٠٠!

وكتب ثاكرى: لبيت دعوة صديقى جون على العشاء، الذى يعيش حياة شرقية كاملة٠٠ فالرجل

---

*Thackeray W.: A Journey From corn Hill to Grand Cairo, 1846,P.186
*Ackerman G. M: les orientalis de l' ecole Britannique, Paris, 1990,P.68

يرتدى روبا أصفر طويل، تتـدلى منه لحية شهبـاء طويلة ، محلوق الرأس، مغطى بقلنسوة قـصيرة. يعلوها طربوش٠٠ بادرنى بالسلام فى ود ملحوظ، خلع البابوج(حذاء خفيف بدون كعب) من قدميه قبل أن يأتى لنجلس سـويا على الأريكة٠٠ صفق بيديه منـاديا «مصطفى» بصوت رخيم، وسـرعان مادلف مصطفى، حاملا قناديل، ثم أتى بالشوبك وأقـداح القهوة٠٠ خلال حوارنا، لاحظت أن فتوره ولامبالاته الشـرقية، قد أخلت المكان لمودته البريطـانية !٠٠ وبدأ رفيقا ممتـعا، بالرغم من أن مظهره يتوافق مع الحياة الشرقية٠

وعندما يخرج لويس، يمتطى جوادا أشهبا مسرجا بسرج أحـمر، وبصـحبته خادمين يسيران بجانبيه، مرتديا حلة إحتفالية رائعة، زرقاء قاتمة السترة مطرزة وكذلك البنطلون، وذقنه تستدير على صدره، فيبدو كواحد مـن النبلاء٠٠ وسيف دمشقى معقوف يتدلى على فخـذه، وغطاء رأسه الأحمر يضفى عليه مهابة ووقار البكوات٠٠ !

لا يهتم بتوافه الأمـور، ويحيا حياة حالمة مسـترخية، مابين ضباب الطـباق٠٠ وتناول القهوة، يمكث منفردا فى عـزلته الاخـتيارية، وقـال لى:أنه لايشعـر بحاجتـه إلى قفاز من الجلـد الأبيض أو ياقات منشاه، أو حتى إلى قراءة الصحف اليومية٠٠ بل أن حياته هذه فى القاهرة، كانت فى عينيه تحضرا ورقيا٠٠ !

فى عام ١٨٥٠، أبدع لويس لوحتـه الشهيرة:«الحريم»٠٠ صـور فيها مشـهدا داخليا فى منزل راق، ورب البيت بين نـسائه فى الحرملك، من الجـوارى والخدم، يجلس بين أكـداس من الوسائد الأنيـقة، وجميعهم يتطلعون فى فضول ممزوج بمشاعر متباينة: إلى وافدة جديدة إلى الحريم٠

وقد حـقق لويس نجاحـا باهرا بهذه اللـوحه، فى صالون«جـمعـية الألوان المائيـة» بلندن، فى نفس السنة٠ وقـال عنه الناقد الفنى الكبـير:«جـون راسكين»٠٠٠« لن تجد فـى تاريخ الفن، أكثـراكتـمالا وتفردا من أعمال لويس»٠

وقد تميزت لوحاته بالدقة المتناهية، وثراء ووضـوح التفاصيل، والتجديد فى اختيار موضوعاته، بعيدا عن«الاستعراضات الرومانسية» أو الكليشيهات التقليدية عن الشرق كأسواق العبيد والآثار، فقد كان ينظر بعين واقعية إلى كل ما يحيط به من مشاهد، مبتكرا«لوحات هادئة» مستلهمة من صميم الحياة اليومـية، محافظا على تقالـيد العصرالإيقونيـة حتى وهو يبدع مشـهدا شرقيـا شعبيـا، مثل «كاتب الرسائل» فى السوق٠

بالإضافة إلى ذلك، فعندما كان يرسم المنازل وقصور الشرق الفاخرة فقد كان يهدف بالأساس إلى التعريف بثقافة عريقة، كانت فى مفهوم الغرب حتى ذلك الحين- ثقافة بربرية !

وقد دون فى بعض رسائله، انطباعاته عن مشاهد أثارت خياله فى شوارع القاهرة، فيصف«سوق الرقيق»فيقول: ٠٠أحد الأماكن التى أفضلها، كان السوق قائما فى فناء مفتوح، محاطا بالاروقة على الطريقة الرومانية، والرقيق يعرضون للبيع فى وسط هذا الفناء، وعددهم نحو الأربعين معظمهم من الشباب، موبعضهم أطفال، كان مشهدا مثيرا٠٠

بالرغم من أننى لم أكن شاهدا عليه٠٠ وكما كنت أتخيله دائما: مشهدا يبعث على الأسى والحزن٠٠ والجوارى الجميلات يلزمن غرفة أعلى الفناء وهن غالبا قوقازيات وحبشيات٠

وعندما يتقدم أحد المشترين، أرى التاجر يرفع رداء سميكامن الصوف يغطى أجسادهن، ليعرضهن على من يبغى الشراء٠٠

بعض هؤلاء الفتيات، كن يتمتعن بقدر فائق من الجمال، قوام ممشوق، وصدور ناهدة، وقسمات دقيقة، وعيون رائعة تنطق بمكنون مشاعرهن٠٠!

تلك الأوقات التى قضيتها فى القاهرة، هى أحلى ماعشت فى عمرى، فهذه التجمعات، والمشاهد الغريبة، والألوان الصاخبة، والأزياء والعادات العجيبة٠٠ لايمكنها أن تخاطب إلا٠٠ «الفنان» !

دافيد روبرتس

ستوك بريدج ١٧٩٦ـ لندن ١٨٦٤

لاجدال فى أن «دافيد روبرتس» هوأعظم الفنانين المستشرقين، فقد فاق الجميع عبقرية وأسلوبا وإنتاجا٠٠

ومن أول وهلة، نلحظ أن بدايات روبرتس وتكوينه وحياته لم تكن عادية، فهو ينتمى إلى عائلة فقيرة جدا، إستقرت فى ستوك بريدج بمدينة ويست كيرك، كان والده إسكافيا، لم يهتم بتعليم إبنه، لكنه إكتشف فيه ميوله إلى الرسم الذى لايتناسب مع صبى فى مثل بيئته٠٠! *

بمجرد أن تعلم دافيد الصغير القراءة، كان يلتهم الكتب إلتهاما، وحبه للمعرفة جارفا٠٠ ألحقه والده بمدرسة داخلية، غير أن القسوة التى كان يعامل بها، قد تركت فى حياته أثرا مريرا٠٠«وكالصبية الآخرين، كنت أعامل بوحشية، حتى أن جلد يداى وقدماى كان مشققا بصفة دائمة من أثر الضرب بالعصا»٠٠!

طلب دافيد أن يترك المدرسة ويلتحق بعمل ما، وأبدى رغبته فى أن يصبح رساما أو يمتهن أعمال الدهان، وإقترح أحد أصدقاء الأسرة، أنه يستطيع أن يمارس الرسم، إذا ماتعلم مهنة تتيح له أن يكسب عيشه، ويتكفل بنفقاته كفنان، حينئذ كان فى العاشرة من عمره٠

قبل اختراع الدهان بالزيت، كان دهان المبانى بمواد بسيطة، والواجهات تتطلب مهارة ودقة فى زخارفها، وإستطاع روبرتس أن يتعلم الكثير خلال تلك الفترة، وأصبح الفتى المدلل لصاحب فريق العمل– جافان بيجو– وبمرور الزمن، بدأ روبرتس يبدى قلقا وشعورا بعدم الإستقرار، وبالرغم مما عاناه من قسوة ومرارة فى تلك المرحلة، إلا أنه اكتسب من بين فريق العمل هذا صديق عمره«دافيد هاى» الذى تخصص فى أعمال الزخرفة الداخلية، والذى أصبح فيما بعد، فنانا شهيرا وكاتبا فى الفن والجمال، بعض زملائهما كانت لهم أيضا طموحات، فأقاموا لأنفسهم مرسما فى قبو بمحل

Roberts D. : Egypt and nubia, Landon, 1848, P. 18-19

إقامتهم· فى سن السابعة عشرة، عمل روبرتس نقاشا فى «بيرث» وإحتفظ بهذا العمل لمدة سنتين· بعد ذلك، عمل روبرتس لعدة سنوات، فى أعمال الزخرفة والديكور بأحد المسارح، وشارك فى إنتاج بانوراما تجارية شعبية، وقد اكسبته هذه الممارسات، مهارة ،وخبرة وسرعة عجيبة، فى تغطية مساحة كبيرة من قماش الرسم فى يسر وسهولة، والأعمال المسرحية المؤثرة، أكسبته دراية بالفنون المرئية، وأصقلت أسلوبه ورؤيته كفنان متميز، وأعدته للقيام برحلته الشهيرة إلى مصر والأراضى المقدسة ١٨٣٨- ١٨٣٩·

ومما لا شك فيه، أن المعرض الذى ضم نتاج هذه الرحلة، كان فاتحة لموجة من الفنانين المستشرقين، ورحيلهم إلى الشرق، خلال ا لعشر سنوات

التالية، وعلى رأسهم:داڤيد ويلكى وريتشارد داد·· وقد وضع روبرتس الفنان الرحاله، منهاجا جديا يعتمد على البلاد الإسلامية المعاصرة، من زاوية الفن القديم«متاحف أثرية» تقدم على الطبيعة: تقاليد وعادات وأزياء متوارثة من الأزمنة القديمة، وكان فى ترحاله، يهتم كثيرا بتفاصيل الحياة اليومية للشرق، كما لاحظ عدم إتصاله بالمواطنين إلا فى حالات الضرورة القصوى، وقد يكون ذلك عرفا سائدا، باعتبار أن الدليل الذى يقود القافلة أو المترجم الرسمى التابع للبلاط العثمانى هو بمثابة«حاجب بين المؤمنين الحقيقيين وهؤلاء الكفار الذين يزورون هذه المناطق» !

فى الرابع والعشرين من سبتمبرسنة١٨٣٨، وصل روبرتس إلى الاسكندرية، بعد أن توقف بجزيرة كريت ، وقد أبحر منها بعض الحجاج المسلمين فى طريقهم إلى مكه···

«ومن المسلم به، أننى ومفكرتى الخاصة بالاسكتشات السريعة، كنا فى شغل عما حولنا» كتب ذلك وهو يصف هؤلاء الحجاج فى خطاب إلى إبنته···· «ويؤدون خمس صلوات فى اليوم، ومشهدهم ساجدين من أكثر المشاهد تأثيرا» وأشار إلى تميز المسلمين بالتقوى والورع دون تعقيد·

وفى رسالة أخرى:«قمنا بزيارة سوق الرقيق المثير للنفور، الفتيات يمثلن الغالبية العظمى من الرقيق·· البعض منهن شركسيات، والبعض الآخر زنجيات، الشركسيات يرتدين ملابس قيمة، أما الزنجيات فكن يجلسن القرفصاء تغطى أجسادهن ثياب رثة ممزقة، تحت شمس محرقة يمكنها أن تقتل أى أوروبى، لقد كان مشهدا مثيرا للملل والاشمئزاز، وغادرته وأنا فخور بإنتمائى إلى أمة قد لفظت تجارة الرقيق»··!*

*Roberts Ibid:P.62

حساسـية روبرتس أثارها هذ ا الموضوع اللا إنسانى، فى نفس الوقت تزايدات حمـلات أنصار إلغاء الاسترقاق، وطالبوا بفرض قوانين ضـد الرق فى البلاد الأخرى، من ناحية أخرى، كانت الطرق التى يسلكهـا تجار العبـيد، هى ذاتها الـتى يسلكها الرحاله والـزوار الأوروبيين، فكانوا كثيـرا مايلتـقون بقوافل الرقيق!

فى الاسكندرية، أمـد الكولونيل«باترك كيـمبل» القنصـل العام البريـطانى، الفنان روبرتس بخطابات توصـية إلى مـحـمد على باشـا نائب السلطان العـثـمانى وحـاكم مـصر، وبعـد عـدة أيام قضـاها بالاسكندرية، بدأ رحلتـه إلى القاهـرة، بصحـبة مـجمـوعة من السـائحين الإنجليز الأثرياء وخـادم يدعى«إسماعيل» من الاسكندرية··

وفى القاهرة، تفاوض لإسـتئجار دهبية، هو وثمانيـة من رفاقه، ليركبوا النيل حـتي الشلال الثانى، وكان الإتفاق محددا بثلاثة شهور، وبواقع خمسة عشر جنيها إسترلينيا لكل شهر·

وبينمـا كان روبرتس فـخـورا بأنه أول فنان بريطانى يصـعد فى النيل حـتي لحق به الفنان«وليـام جيمس مولر» بعد أربعة أسابيع تقريبا··

وقد بدأ من خـلال إبداعات روبرتس ويوميـاته، إهتمامه البـالغ بآثار مصر القـديمة·· وقد تأثر بما شاهده مـن قوافل حزيـنة للرقيق المهـرب، ومن أعمـال السخـرة والخدمة العـسكرية الإجـبارية·· وآثارإستياءه أن دهبيتهم إلتقت المركب الفاخرة للباشا، ولكن لم توجه لهم الدعوة··!

أطلال الفراعنة التى شـاهدها روبرتس، تختلف تماما عـما يشاهده السـائحون اليوم، فقـد كانت فى أمس الحاجة إلـى عمليات ترميم هائلة، والمعـابد العظيمة - حينئـذ- كانت مدفونة فى الـرمال حتى منتصفها، وإمتدت إليها بيوت المواطنين وتداخلت معها !

كتب روبرتس فى الأقـصر*:«سرت هذا الصباح، على أحجـار وأطلال هذا المعبد الهائل، المندثر بين منازل مشـيدة بالطوب اللبن·· تسلقت مدخل المعـبد، حيث أمكننى رؤية بقـايا هذا المعبد وأعـمدته، المتداخلة مع المبـانى الحديثة»·· وشدما آلمه أن يعـيش المصريون حياة بدائيـة، بائسة·· وفى أدفو، أرهقه التـفكير فى هذا الأمـر:«هل من الممكن ــ ذات يوم ــ أن تعـود هذه الصحـراء لتصبـح خلية للنشـاط الإنسانى كمـا كانت؟» ·· وربما كان ذلك محتملا ــ من وجـهة نظره ــ طالما«أن مصر هى محور إرتكاز علاقة بريطانيا بـالهند»!

*Roberts D.:Egypt and nubia, London, 1848, p.18-19

وبينمـا كان روبرتس يفكر فى هذا التـساؤل، كـان «توماس واجـورن» احد كـبار ضـباط البحـرية البريطانية فى الهند، يجرى مفاوضات مكثفة مع مـحمد على للموافقة على مد خط سكة حديدية بين القاهرة والسويس٠٠

وفى أبى سمـبل، أطلق روبرتس لمشـاعره العنان، مأخـوذا بسحـر وجاذبيـة المعبدين المنـحوتين فى الصخـور، فمكث هـنالك بضعـة أيام، بينما واصل رفـاقه رحلتـهم، فأنجـز كثـيرا من الاسكتـشات السريعة لـلأطلال الرائعة التى تراكمت عليهـا الرمال٠٠ وتلك كانت أقصى نقطة وصـل إليها بوادى النيل٠٠ وكانت كوم أمبو إحدى المدن التى أعجب بها ورسم معبدها الشهير٠

عندما توقف فى أسيوط، اكتشف أنه نسى كراسـة الاسكتشات النوبية، على مسافة ١٣٠ ك/ م فى المقبـرة المنحوتة فى صخـور جرجا٠٠ وأصبح روبرتس فـى مأزق، كاد أن يتحـول إلى كارثة، لأن حصيلة العمل فى نصف الرحلة مهدد بالفـقدان، ولحسن حظه، كانت هناك مركب على وشك الإبحار جنوبا، فإتفق مع إثنين من ركابها أن يأتيا إليه بـهذه الكراسة الثمينة، وإضطر روبرتس إلى التوقف عن عمل أى شئ، ويكاد القلق يمزقه، حتى عادت إليه ضالته المنشودة !

عقب عودته إلى القاهرة، كتب إلى إبنته:«وخلال رحلتى هذه، مـررت ببقايا آثار عظيمة، وأماكن كانت مأهولة قديما، عاشت فيها أسرات عريقة ثم طواها الـنسيان والزمان٠٠ بعض بيوت قبطية مهجورة وعلى وشك أن تتـقوض٠٠٠٠وأطلال تدل على مـدن عظيـمة، كـانت تزدحم بشعـوب دأبها العـمل والإبداع، وتزدان بأضـخم وأروع المعابد، ومبـان فخـمة عـجيبـة٠٠ اليوم،تغـير كل هذا، أصـبحت مهـجورة، قاحلة، معـزولة، تتولاها حكومات حـمقاء، وسكانهـا اليوم يجوسـون خلال تلك الأطلال كأنهم حيوانات بدائية٠٠ أتأملها وقلبى مفعم بالألم !٠٠ »

«حصلت على ملف هائل من الاسكتشات لمعابد وآثار الفـراعنة، ذات الأهمية الكبرى، وأتمنى أن أحقق ملفا آخر عن جوامع القاهرة التى لانظير لها فى العالم٠٠

والعقبة الوحيدة التى قد تعترضنى، هى ضرورة الاسـتسلام للمعتقدات الإسلامية، التى لاتسمح — للكافرين — بأن يطأوا ويتوغلوا داخل مساجدهم»!

ولكن بفضل علاقاته، لم تعترضه أى مشكلة، فحصل على فـرمان من عباس باشا، حفيد محمد على، برسم الجوامع، ومن الداخل أيضا، بصحبة بعض الجنود إذا كـانت هناك ضرورة، وكان محمد على باشا حريصـا على وجود علاقات جـيدة مع الإنجليز، وكما كـانت فرماناته تتمـتع بسلطة قوية فى

مصر، كانت لها أيضا فى بلاد الشام، قوة وسرعة النفاذ.

وفى رسالة كتبها روبرتس إلى شقيقته:«شكرا لله، بفضل محمد على أصبح السفر إلى سوريا اليوم آمنا.. كأننى فى إنجلترا» !

وبالفعل لم يكن روبرتس فى حاجة إلى حماية الشرطة فى القاهرة، وظل يرسم بين الناس، حتى إذا إمتد به الوقت، غير أن بعض المسلمين المتشددين الذين يحرمون رسم الصور، عبروا عن إستيائهم بأسلوب لايخلو من جهل وطرافة.. فأحيانا يجد حجرا أو برتقالة تتخذ طريقها إلى اللوحة التى يرسمها..!*

كتب روبرتس فى ٢٩ ديسمبر من يومياته:«رسمت لوحتين كبيرتين إحداهما لشارع يؤدى إلى المارستان، والأخرى لنفس الشارع ولكن من زاوية مختلفة، يغلب على مشاعر الناس المودة، وفى بعض الأحيان أجد صعوبة فى الرسم فى شوارع مكتظة بالعابرين، لكن بصفة عامة، كل شئ يسير بطريقة مرضية».

كانت سعادة روبرتس تفوق كل وصف، عندما يرى نوعيات مختلفة من الناس «.. جميع شعوب الشرق تختلط ببعضها»..

ذات يوم، إرتدى زيا عربيا، وصحبه حارس نوبى، ودخل جامع السلطان الغورى، حتى توسطا صحن الجامع، وفيه تحلق بعض الرجال المنهمكين فى تطريز قطعة كبيرة من القماش الفاخر، وإقترب روبرتس أكثر، ورأى البعض يجثون ويقبلونها، فجثا على ركبتيه وتناول طرفا منها ليتفحصها، فإنتزعها حارسه من يده فى الحال ودفعه إلى الطريق.. لقد أراد روبرتس أن يلمس الكسوة المقدسة المخصصة للمشهد النبوى بالمدينة!

---

*Ballantine J.:The life of David Roberts, Edinburgh, 1866,p96

جان ليون جيروم

(١٨٢٤-١٩٠٤)

الذى شغف حبا بمصر، هو أحد أشهر الفنانين المستشرقين فى القرن التاسع عشر، كانت أولى زياراته لمصر - مستجيبا لإلهامات الشرق - عام ١٨٥٤، ونزوع رومانسي نحو الشرق الساحر الغامض، ولوحاته الاستشراقيه هي أبرز أعماله ، التى إحتلت الصداره في معارض "صالون باريس" لمدة ثلاثين عاما. .

وقد كتب جيروم يوميات رحلته الاولي في ثلاثين صفحه، تولي نشرها "مورو فوتييه". . أيضا وصف تلميذه "بول لينوار" رحلة جيروم في كتابه المنشور عام ١٨٧٢. . كما إستخدم الكاتب الصحفي «ادموند آبوت» الذى شارك جيروم فى رحلته، الجزء المصرى من الرحله، كلوحه أساسية لقصته "الفلاحه" التى نشرت عام ١٨٧٠ وأهداها الى جيروم.

وقد ضم فريق هذه الرحله، بعض الصحفيين والمصوريين من أصدقاء جيروم: البير جوبيل، ليون يونات، فامارس تيستاس، ريتشارد جوبى، وفردريك ما سون، الذى روى جانبا من ذكريات هذه الرحله فى بعض مقالاته، وقد وصف جيروم قائلاً :*

«. . كأن جيروم ولد خاصة لهذه الرحلات النائيه، التي تتطلب بنيانا قويا وفكرا حازما. . يقف دائما دون كلل أو ملل . يقود القافلة بطريقة لا يمكن لاحد الإعتراض عليه، مع إشراقه كل صباح، كان يتولى الإشراف علي أدق الأمور، وتوزيع المهام، ثم يمضي ساعات طويله: يدخن . . يصيد . . يدون بعض ملاحظاته . . ويفتش بعيون الفنان والكاتب وعالم الآثار. . وما يكاد يصل إلى

---

*Ackernan G.m:La vie et l'oeuver de Jean-leon Gerome, Paris,1987,P.86

المعسكر، حـتى يبدأ العمل ، ولا يحـول بينه وبين عمله . . مطر أو رياح ! ثم ينظف البـاليت وفرش الرسم . . ويالها من صحبة رائعة ، حول مائدة ، تحت خيمة!»

الرحلة الأولى إلى القاهرة

كتب جيروم في يوميات رحلته الاولي:

"رحيلى الى القاهرة. . إقامتى القصيرة فى القسطنطينيه فتحت شهيتى، كان الشرق هو حلمى الجميل، ربما ، كان أحد أجدادى من البوهيميين، لأننى أميل إلى الترحال ، ومولع بالتنقل. .

أرحل مع أصدقاء، أنا خامسهم ، الجميع لا يحملون الكثير من المال، ولكنهم يفيضون نشاطاً وحيويه. .

الحياه المادية فى مصر – فى تلك الفترة – قليلة التكاليف، ولم تكن قد وقعت فى براثن الغزو الاوروبى بعد . . نستأجر قارباً شرعياً، قضينا أربعة ايام على صفحة النيل. . نصطاد ونرسم. . فى ترحالنا من دمياط إلى فيله. .

نعود الى القاهرة نقضى أربعة شهور أخرى ، فى أحد منازل سليمان باشا المؤجر لنا، وبصفتنا فرنسيين ، فهو يستضيفنا فى ود وترحاب . . زمن الشباب السعيد والأمل والمستقبل أمامنا. . الكثير من اللوحات، سواء منها ما سيحظى بنجاح كبير أو ضئيل ، أو تحوز إعجاب الجمهور بدرجات متفاوته، سوف أنتهى منها بعد هذه الإقامة على شاطىء "أبو الأنهار".

تلك أول سلسلة من الرحلات النظامية للشرق الاوسط ، وبالأخص لمصر وآسيا الصغرى كان "إميل أوجيه" مؤلف المسرحيات الناجحة بصحبة جيروم ، و"أوجست بارتولدى" مبدع تمثال الحرية والذى حمل معه ما يحتاجه من مواد التصوير الفوتوغرافى، ورسامين هما : بابى ونارسيس بيرشير، ولا مراء أن جيروم قد إحتفظ بالصور الفوتوغرافية التى صورها بارتولدى لإستعماله الشخصى.

كتب "جوتييه" ، بعد زيارة إلى المرسم الجديد بشارع نوترد أم دى شامب:

" الفوتوغرافيا، التى تتقدم اليوم نحو الكمال الذى تعرفونه، تغنى الفنان عن نسخ الآثار بوسائله،

بدقة مطلقة، حيث أن حسن الاختيار لوجهة النظر والوقت المناسب، سيعطى للعمل قيمة كبيره" .

لقد وجه – جيروم – أعماله الى تلك الناحية، فهو رسام تاريخ ، وموهبته اصقلتها الدراسه والخبره. . متأنق، ملتزم، مفعم بالإبداع ،والاحساس الخاص . . الذى ستزداد أهميته بالنسبة للفنان فى ذلك العصر، عصر التنقل العالمى السريع ، حيث أن كل شعب من شعوب هذا الكوكب معرض للزيارة ولو كان قابعاً فى بعض الجزر النائية !

أصبح التنقل أيسر وأسهل، والرحلة أكثرمتعه. . سواء للإستمتاع بعناصر طبيعية جديده ، أو مشاهدة أطلال الأقدمين. . وللإستكشاف . . والبحث عن الغريب والمثير . . والنموذج الحلم . . موتيفات شرقيه تنتمى إلى زمان آخر ومكان آخر!

كتب جوتييه: * "كان جيروم لطيفاً، بتركنا نتصفح حافظته الفنية، وأن نشاهد رسوماته السريعة (الكروكى) التى رسمها بالقلم الرصاص ، ملاحظات سريعة، مسجلة من الحقيقة وجها لوجه، دون إستعداد ، ودون ترتيب، ،بدقة وعفوية أمينه، وتعبير ساحر، إن أقل ما إبدعه جيروم رسومات سريعة (كروكى) كانت واضحة ، وثابتة ، ومحدده وانتهت باهمالها. . »!

« . . لقد قام الفنان الرحاله بعمل العديد من الدراسات بالصور الشخصية فى منجم الرصاص وفقاً لنماذج متميزة : الفلاحين، والأعراب ، وزنوج مختلطى الدماء ، أناس لو وضعوا تحت ملاحظة جيدة ، لأمكن الاستفادة منهم فى الآبحاث عن أصل الإنسان أو علم الاجناس وتطورها وسمتها وتقاليدها فعلى سبيل المثال – ومازال الحديث لجوتييه: الجمل، درسه رحالتنا من جميع جوانبه، فى كل تصرفاته، وكل خطواته وكل مواقفه فى المشى أو الراحة ، وهو يجتر ، وهو يحلم ، وهو يلعق مشافرة أسنانه العارية. .

لن ننتهى من ذلك إذا أردنا أن نذكر تفصيلات لا نهائية، والمسجلة على هذه الأوراق المنفصله، ودراسة نخيل الدوم ، والسواقى التى ترتفع مع عجلتيها أوانى صغيرة مربوطة إلى بعضها كالمسبحة، ومقاهى ، ووكالات ، وأماكن للاستراحة ، وزوايا الإهرامات، وصورة جانبية لأبى الهول وفازات ذات خطوط ونقوش قديمة، وأبواب جوامع، كل ما تقدمه الصدفه للمسافر من جديد وغريب . . إلى عين خبيرة تعرف كيف تنتقى ، ويد متمرسه تعرف كيف تعبر وتبدع».

---

*CarreJ.M.:Ibid,P.182

ولقد أثرى جيروم ذاكرة الفن بزيارات أخرى إلى مصر فى السنوات ١٨٦٢ ، ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ، ١٨٧١ ، ١٨٧٤ ، وسنة ١٨٨٠ .

ويذكر فريديريك ماسون الذى إصطحبه مرة على الأقل، أن جيروم كان يعمل كل مساء وهو على المركب يرسم إسكتشات، ولا ينقطع عن الرسم حتى يحل المساء .

وتجدر الإشارة إلى أن جيروم قد شكل حماراً من الجص . . إستخدمه فى كثير من المناظر للشوارع، ولوحات تعرض المكاريين ، ومناظر الشوارع التى أبدعها كلها فى القاهرة. .

فى الشهور الأخيرة من حياة جيروم، غلبت الكآبة على لوحاته فكانت وكأنها مجرد ديكورات فى مسرح هجره الممثلون!

وشعر جيروم أن موضة الحكايات الحقيقية التى كان يعرفها قد ولت فكان يرسم دون إقتناع!

واستمر فى إنتاج صور النساء فى الحمام، حيث أن بيعها مضمون، وكان يحدث دئماً أن يكرر الموديل عدة مرات فى لوحة واحدة والوضع فقط هو الذى يختلف!

فمثلا يرسم الموديل فى أوضاع مختلفة، فتارة جالسة بجوار حوض السباحة، وتارة أخرى على مقعد منحوت – لوازم المرسم التى يستخدمها من عشرات السنين ٠

أوضاع غير مريحة دائماً، تذكرنا بأوضاع المرأة عند « ديجا». . وإن كان جيروم لم يحاول أن يضفى جمالاً أخاذا تفتقده موديلاته العاريات، أو إظهارهن ممتلئات سمينات، يتثنى لحمهن فى طيات تلهب المشاعر!

لمحات من رحلة جيروم سنة ١٨٦٨:

كان جيروم قد أعد نفسه لرحلة طويلة إلى مصر وآسـيا الصغرى، ولذا فقد طلب أجازه مفتوحة من مدرسة الـفنون الجميلة بباريس – التى كـان أستاذا بها – تـبدأ من اول يناير لسنة ١٨٦٨، وكلف صديقه " جوستاف بولانجيه" برعاية مرسمه لحين عودته.

. فى التاسع من يناير ١٨٦٨ ،غادر جيروم مارسيليـا متوجها إلى الاسكندرية ومنها إلى القاهرة ، وقد روى " لينوار" تفـاصيل زياراته المتعدده للجـوامع الأثريه مع جيروم، وسـجل إنبـهاره بروعة العمارة

الإسلامية ، ألبـوماً يتضمن صوراً فوتوغرافـيه لكل أعماله٠* قضـى جـيروم شـهراً مأخـوذا بمعالم القاهرة الإسلاميه، ثم إصطحب رفاقه مرشداً وتـرجماناً، وتحت قيادته توجهوا إلى الجيزة ، فى ٢٠ فبـراير، على ظهور الحمـير، وأقامـوا معسـكراً لمدة ثلاثة أيام ، ثم توجهوا جنوبـاً حتى وصلوا إلى "قنوات يوسف" الاسطوريه المؤديه إلى واحات الفيـوم. إصطادوا عددا من الخنازير البريه، وطوال ترحالهم لم يتوقف جيـروم عن الرسم . وفى قرية سنورس (مركز بالفيوم) وجـه دعوه إلى فرقة من العوالم ليرفهـوا عنهم فى المعسكر، وقام لينوار وجيروم برسـمهن وتصويرهـن فوتوغرافيا ، ثم واصلوا رحلتهم بعـد ذلك إلى مدينة الفيـوم، بعد أن تركوا أحد رفـاقهم بالطريق، فعاد إلى ضـفاف النيل حيث لم يتحمل شدة الحرارة، وعلى مسافة آكثر من مائة كيلو متر من القاهرة، إكتشفوا بعض المناطق التى يقطنهـا قليل من البدو، ثم وصلـوا إلى النيل عن طريق السكة الحديديةالحـديدية ، وفى مـواقف كثـيرة، كـانت العربـة التى يستـقلونهـا، تفصل عن القـاطرة وتتـوقف على الطريق بوسط الصحراء . . بينما السائق يذهب بالقاطرة لإحضار الوقود! . .

---

*Ackerman G.M.:Ibid,P.112

بعد عودتهم إلى الجيزة، إستقلوا القطار إلى السويس، ومنها واصلوا رحلتهم إلى جبال سيناء، وقد عكست هذه الرحلة خبرة جيروم، وإعجابه الشديد بالأعراب، ومعرفته بطرائق حياتهم· وتجدر الإشارة إلى أن جيروم لم يكن يكتب أكثر من فقرة واحدة فى اليوم، من مذكراته اليومية·

أحاطت المهابة قافلتهم الجديدة· المكونة من عشرين رجلا، وسبعة وأربعين جملا، أحدها مخصص لحمل معدات ومواد التصوير الفوتوغرافى·

بدأت المسيرة فى ٢٢مارس، بمحاذاة الضفة الشرقية لخليج السويس، وفى السادس من إبريل، وصلوا إلى دير سانت كاترين وجبل سيناء، بعد أن كابدوا كثيرا الأمطار والبرد القارس والعواصف الزملية·· ضاعف جيروم من اسكتشاته، فكانت ساحرة فى كثير من الأحيان، وبعضها ساذج·· وقال صديقه«جورنو أن جيروم كان يشعر بأن هذا آخر عبور له للصحراء، فرسم إحتياطى كبير كان كافيا لتغذية لوحاته لسنوات طويلة·

قضوا أياما بدير سانت كاترين، كانوا يجهلون خلالها الكنوز التى اكتشفها«كورت ڤايتسمان»·· ثم إرتقوا جبل سيناء، حيث قام جيروم برسم إسكتش لمعركة«علميك»·· وواصلوا رحلتهم إلى خليج العقبة· ثم إلى مدينة «البتراء» حيث وقعوا فريسة لعصابة من قطاع الطرق، لمدة أربعة أيام، يفرضون عليهم أتاوة يومية باهظة على ما يحملون من مؤن،

ويزعجونهم أثناء جلساتهم للعمل والرسم أو التصوير الفوتوغرافى، ويطوفون حول خيامهم ليلا·

كتب جيروم فى يومياته:*«عند الرحيل، كان قطاع الطرق يصحبوننا ويقودوننا خلال طرق مخيفة حتى حدود أراضيهم، دائبون فى طلب النقود، حتى الترجمان كان مضطرا لمنحهم المزيد حتى أفلس·· غير أن أحدهم لم يكن راضيا عما حصل عليه، فاعترض الطريق بحصانه، متكئا بإحدى ذراعيه على رمحه، والأخرى يلوح بـ« سبينغوك»ـ بندقية من طراز القرن السادس عشرـ لقد كان مشهده رائعا ولكن قتله كان سيطيب خاطرنا، ومبعث سرور عظيم لنا»··!

ثم واصلوا الرحلة الشاقة إلى القدس، حيث تولى «بونات» قيادة القافلة التى واصلت السير إلى سوريا، بينما توجه جيروم إلى يافا، ليستقل مركبا عائدا إلى مارسيليا·

---

*Ackerman G.M.:Ibid,P.115

أوجين فرومنتان

(١٨٢٠- ١٨٧٦)

كان للأديب والفنان«فرومنتـان» دورا بارزا فى حركة الاستشراق الفنى فى منتـصف القرن التاسع عشر، وتفرد بنظرة جمالية، جمعت بين الروما نسية والفكر الواقعى·

تأثر فـرومنتان بالمناخ الثـقافى والفـنى الذى كان يسـود باريس فى ذلك العصـر، وتغيـرت معـالم شخـصيته تمامـا، عندما أدرك عدم جدوى دراسـته، وقد أنهى دراسة الحـقوق بجامعـة باريس عام ١٨٤٣، فبدأ يعيد تكوينه الثـقافى من جديد، بحضور محاضرات أعلام الفكر: أوجاركـينيه، ميشليه، سانت بوف وغيرهـم، وبدأ الدراسة الأكاديمية لفن التصوير فى أتيليـه الفنان ريمون، ثم فى متحف الفنان لويس كابيه، وتوطدت صداقته بالفنان المستشرق شارل لابيه·

وتلبية لدعوة الفنان لابيه، قـام فرومنتان بزيارة الجزائر سرا عام١٨٤٥ * حيث كانـت أسرة لابيه مستقرة بمدينة«البليدة» وكانت عائلة فرومنتـان تعارض اتجاهه للفن، فسافر دون علمهم، واستمرت الرحلة لمدة شـهـر، أثمرت حـصـيلة ابداعيـه هائلة، وكـتب لوالده رسـالة، أوجـز فيـها انـطباعـاته الدافقة:«·· قد أكون مخطئـا، غير أن رحلتى هذه، وتوجه أفكارى الجديدة، وذلك الدرس الرائع الذى تعلمته فى بلاد الضوء السـاطع، والألوان الصاخبة، والأشكال الغريبة، يعد تقدمـا فى عملى، سيغدو ملحوظا يوما بعد يوم، وكل هذه المعطيات، تمنحنى زخما جديدا، وتكسبنى حماسة وقوة جديدتين»·

فى صالون باريس ١٨٤٧، عرض لفرومنـتان ثلاث لوحات، تعرض مشاهد جزائرية، قـدمته بنجاح إلى الجمهور الفرنسي··

لقد بلورت أرض الجزائر العملية الإبداعية والروحية لهذا الفنان، ودفعته إلى معايشة الحالة الروحية للشرق، وتسجـيل كل مظاهر السلوك والعادات والتقاليد، والطقـوس الدينية، والحكمة، وحب الأرض وعـشق الطبيـعة، ووصف حـياة الـقبـائل العربيـة ، فى كتـابيـه:«صيف فى الجـزائر» و«سنة فى

---

*Fromantin E.:Une ete dans le Sahara,Paris,1857,P.28

الساحل» ·· وقد أشار فى هذين الكتابين، إلى سعيه الدائب لاكساب الصورة الشرقية: نبل وقدسية الكتاب المقدس وعظمة العصور القديمة، فعلى سبيل المثال، كان يقارن دائما بين نساء الجزائر وصورة«راحيل فى الكتاب المقدس» ويقارن الراقصة العربية بالليدى ماكبث !

كان فرومنتان دائم الإشادة بعالم الشرق، وبعظمة شعوبه التى استطاعت الحفاظ على جمال الحياة والعادات والتقاليد الموروثة، وتميزت ابداعات هذا الفنان، برهافة الحس، والمعرفة الدقيقة للعنصر الإنسانى وللطبيعة ومتغيراتها، وملاحظة أثر المناخ على السلوك ونمط الحياة خاصة فى الصحراء، وقد سعى إلى تخليد مناظر الطبيعة الجزائرية، كما خلد ماريلا الطبيعة المصرية ··

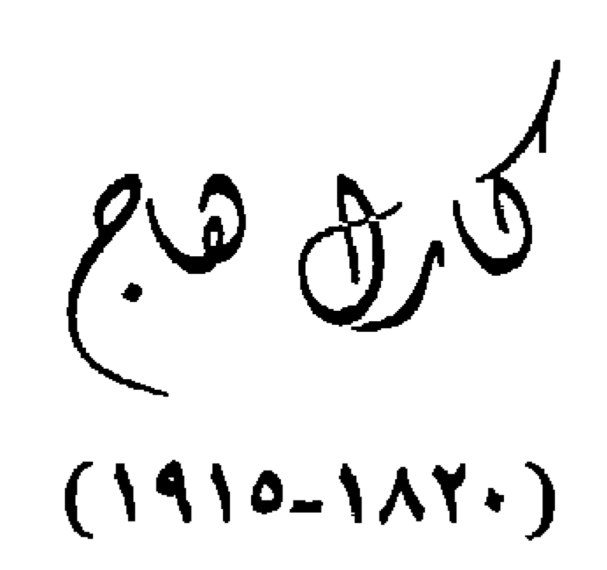
وبدعوة من الخديو إسماعيل، شارك فرومنتان فى احتفالات إفتتاح قناة السويس عام١٨٦٩.* وقدم صورة صادقة متعددة الألوان عن مصر وكان فى أعماقه شاعرا، أكثر منه مصورا·· حتى أنه عندما رحل إلى مصر لم يكن معه أدوات للرسم، وأنما إصطحب معه مفكرة لرصد انطباعاته والتى كانت وبحق أبدع مذكرات سجلها فنان النوبيات·· ومن أشهر لوحاته المصرية «لصوص الخيل فى الصحراء» و«الغروب على شاطئ النيل»و«النوبات على شاطئ النيل»··التى أبرزت قدرته الخارقة على التلاعب بالدرجات اللونية، وهذه المقدرة الفنية أتاحت له وصف أدق الفروق اللونية التى تطرأ على مياة النيل، فهى تارة فى لون الوحل، عسلية اللون رمادية، فضية مخضرة أو زرقاء قاتمة··

وتدل ابداعات فرومنتان على عمق ثقافته وسعة اطلاعه وتزوع إلى الابتكار والتميز، وكان يعشق العزلة ليعيش« خارج الزمان والمكان»··!

ووصف نفسه بأنه:* «ليس رحاله يصوركل ما تقع عليه عيناه، بل هو فنان يرتحل وراء ماينبغى تصويره، محاولا التمييز بين الجميل والغريب»··

---

*Thompson J.et Wrigt B.:lavie et L'oeuvre D'Eugene Fromentin,Paris P.254
*Thompson J. et Wrigt B.:Ibid:P.257



(١٨٢٠-١٩١٥)

«الفنان العبـقرى، كارل هاج، بإختـصار شديد هو واحد منا ونحن فـخورين به» ٠٠ كان هذا تعـبير الناقد ــ فيبر چاكسون ــ فى العـدد الخاص من«مجلة الفن» البريطانية لعام١٨٨٣، وفى هذا المقال، يضم هاج إلى مدرسـة التصوير الاسـتشراقى البريـطانى، بالرغم من مولده فى «بافيـر» وتكوينه الفرنسى !

أجمع النـقاد على أستـاذية هاج فى فن الرسم بألوان الماء، حـصل على الجنسيـة البريطانيـة، وكان صديقا للعائلة الملكية٠

كان كارل هـاج سـعيد الحظ فى طفولتـه، فوالده كان رسـامـا هاويا، فإتجهت ميـوله إلى عشق الفن، ومن هذا المنطلق، إسـتقـر رأى العائلة على صـقل موهبـته بـالدراسة، فـتابع مـحاضرات المـدرسة الهندسيـة بمدينة نورمبرج، حـيث إختار الرسم وبعض المواد التـى تتناسب مع ميوله الفنيـة٠ وبعد بضعـة سنوات إلتحق بأكـاديمية الفنون، حتـى أصبح طالبا لامـعا، مما دفع مديـر الأكاديمية «البـير رانيدال» إلى تشجيعه بإسـتمرار وحثه على إكمال دراسته فى ميونيـخ، وعرض عليه أن يمنحه بعثة دراسية، لكن هاج رفض هذا العرض، مفضلا أن يكمل مشواره الفنى بطريقته الخاصة!*

إتجه هاج إلى رسم البـورتريهات الصغـيرة بألوان الماء، وقام بتنفيـذ البعض منها لأصـدقائه، ومن الواضح أن هاج تمتع بذاكـرة لهـا القـدرة على إخـتـزان أدق التـفاصـيل، سـاعـدته على أن يجـعل موضوعاته صـورا تطابق الأصل إلى أبعد الحدود، ثم تتلمذ على يد«كورنيليـوس» بأكاديمية باڤاريا الملكية، الذى حاول أن يوجهه إلى التصويـر التاريخى والذى ينبغى أن يكون هدفا لجميع الفنانين ــ حسبما يعتقد ــ كما تأثر هاج بتصوير الطبيعة فى ابداعات« كارل روتمان» رسام القصر٠٠

*Ackerman G.M:Ibid,P138

ويمضى نحو عامين، ونجاحه المذهل كرسام بورتريهات، يصبح عبئا ثقيلا عليه، بعد أن إنهمرت عليه الطلبات، فقرر الرحيل، وقضى شتاءاً فى بلجيكا، بصحبة البارون فيبيرز ولويس جاللي. وفى عام ١٨٤٧ يعبر المانش، فى الموعد المحدد لإفتتاح معرض الربيع للرسم بالألوان المائية، وقرر البقاء فى إنجلترا، مبهورا بالفن الإنجليزى، وإلتحق بالأكاديمية الملكية، وموهبته الفذة كانت مصدر مشاكل لأساتذته٠٠ ! * قام هاج بمساعدة كيميائي بعمل عدة تجارب على أصباغ ألوان الماء، وعرضها لتأثيرات الشمس والأحوال الجوية المختلفة، إنتهت إلى إبتكار تركيبه ألوان تتميز بالمقاومة، وجوهرها الأصباغ المعدنية الصافية، دون إستخدام ألوان الخلفية أو اللون الأبيض الكثيف، متوصلا فى النهاية إلى تقنية سليمة لألوان الماء٠

فى عام ١٨٤٨، كاد أن يواجه حادثا مأساويا، عندما انفجرت قنبلة صغيرة فى يده اليمنى، وبعد إجراء عدة عمليات جراحية ناجحة ومع العناية الفائقة، تمكن مرة أخرى من إستعمال يده، التى كانت شبه مفصولة من الرسغ٠٠ وأثناء فترة النقاهه، واصل جهوده من أجل الحصول على درجات ألوان أكثر ثباتا، وبعد أن تم شفائه، أصبح عضوا بجمعية الرسم بالألوان المائية٠ *

نحو عام١٨٥٠، قام هاج برحلة إلى «دالماسيا» و«مونت نيجرو» وخلال إقامه الصيفية فى «تيرول» عام ١٨٥٢ قابل أمير«لاينتجين»ودوق «ساكس كربورج وجوثا» وحدث تقارب ومودة بين الدوق وهاج، إلى أن أصبح رساما فى قصر الدوق، وفيما بعد تفتح له أبواب القصر الملكى البريطانى، عندما قدمه الأمير إلى الملكة أخته غير الشقيقة٠

وفى خريف ١٨٥٣، يتلقى هاج دعوة لتصوير مناظر موسم الصيد فى بالمورال، يعقبها دعوة إلى وندسور فى الشتاء التالى٠ كان إنتاج هاج غزيرا، وأقام عدة معارض بجمعية الرسم بألوان الماء، تضمنت مشاهد من الطبيعة، فى اليونان ودالماسيا وتيرول وبالمورال٠

في عام١٨٥٨، قام هاج برحلة إلى القاهرة وسيناء، والقدس ، كان نتاجها حصيلة هائلة من المعلومات، عن تفاصيل الحياة اليومية وفن الحرب، والزواج والجنازات، وتقاليد البدو وتعليم أبنائهم، والطريقة المتبعة فى تربية الجمال والماعز، حتى يسوقونها إلى سوق المدينة لبيعها، وما يحصلون عليه بالمقايضة، وكيفية نسج أثوابهم وفرشهم، وصناعة الرماح والسيوف وكيفية

*Ackerman G.M:Ibid,P.140
*„ „ :Ibid, P.141

إستعمالها٠٠

فى عام١٨٦٠، عـاد إلى لندن، حامـلا معـه عددا كبـيرا من الاسكتـشات ومـلابس شرقـية وبعض الأثاث٠

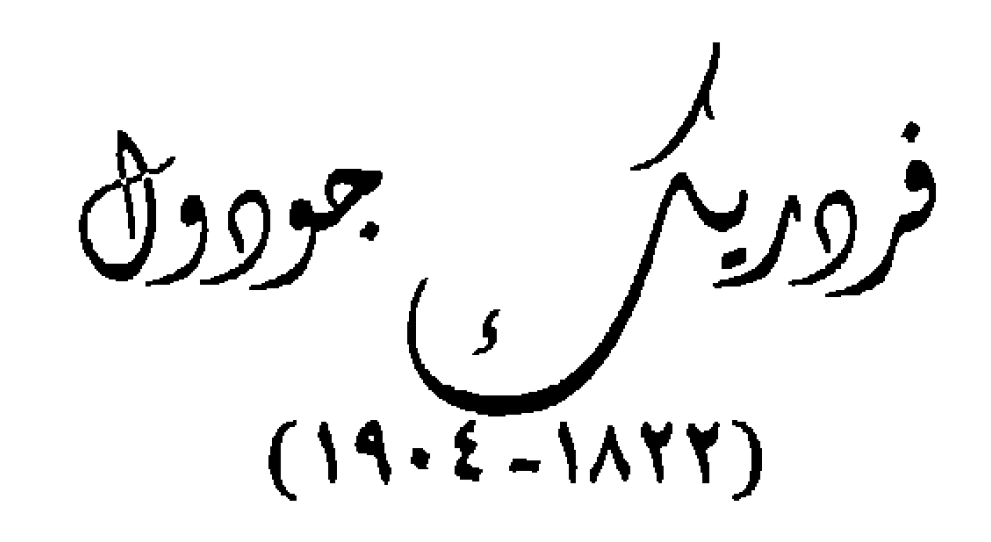
ومعظم اللوحات التى عـرضـها بجمعيـة الرسـم بألوان الماء، كانت عن الحياة فى الصحـراء، ومشاهد من شوارع القاهرة، ومناظر من القدس، منها لوحتين بناء على طلب خاص من الملكة٠

فى عام١٨٦٦، تزوج هاج، وإشترى دارا فى هامبسـتيد، ونفذ ديكورات الطابق العلوى على«الطريقة المصرية» مسـتخدما الأرابيسك والطنافس وبعض الأثاثات الشـرقية التى جلبها مـعه فى رحلاته٠٠ وكان يستقبل أصدقائه وزبائنه فى مرسمـه الفخم، والذى ضم ركن للإستقبال، وأنترية مصرى من الأرابيسك المنقوش والمطعم بالأصداف، كذلك كانت الغرف الأخرى وديكوراتها على الطراز الشرقى، مما جعلها مناسبة لكادرات إبداعاته٠٠

فى عام١٨٧٣، عاد إلى مـصر لينعش ذاكرته، حاملا مـعه رسالة توصية من أميـر الغال إلى الخديو إسماعيل الذى إستقبله٠٠٠

فى بعض الأحيان، كان هاج يبدع بعض المناظر ذات المضـمون«الدارمى» مثل٠٠«خطر فى الصحراء» ١٨٧٣، كمـا تناول بعض الموضوعات المتـواضعة نسـبيا، فى تكوينات فنيـة ذات مستـوى رفيع٠٠ وتميـز هاج بتـصـوير الملابس الشـرقيـة المبـرقـشـة٠٠ ودرجات ألوان ضـوء الشـفق على رمـال الصحراء٠٠

فى عام١٨٧٤، حصل هاج على صرح قديم على نهرالراين، أقامت به والدته وأعتبره مقرا صيفيا له، ثم إستقرفيه نهائيا عام١٩٠٣، وبه وافته المنية٠



(١٨٢٢-١٩٠٤)

كان هذا الفنان الشهير، نموذجا متألقا لرسام لم يتبع منهجا أكاديميا، وقد ذاع صيته بين الطبقة الارستقراطية وفى الأوساط الفنية والأدبية، والعلمية ، وصفه أحد النقاد بجريدة الفن البريطانية بأنه«يعيش تحت شمس دائمة» !

تربى فنيا على يد والده الحفار«ادوارد جودول» حيث ترك المدرسة فى سن مبكرة، وفرض عليه والده منهاجا قاسيا لتعلم الحفر، كما أصبح على دراية بعلم التشريح، بعد أن اشترى له والده هيكلا عظميا، ولكنه قرر أن يصبح فنانا وليس حفارا!٠٠ وكان يذهب إلى حديقة الحيوانات، ليرسم ماشاء من طيور وحيوانات وهى تتحرك٠٠

وقد ظل فردريك يفخر بأنه لم يتلق أى قدر من التعليم، سوى ماتلقاه عن والده٠٠ ونال أخواه:ادوارد، وولترحظا من الشهرة فى الأوساط الفنية، فى الرابعة عشرة من عمرة، نال فردريك جائزة جمعية الفنون البريطانية عن رسم لتصميم معمارى٠

ذات يوم، كان يراقب عملية إنشاء نفق تحت نهر التيمس، فكان شاهدا على حادث مؤلم، ألهمه لوحة بعنوان«العثور على جثة عامل فى ضوء المشاعل» حصل بها على الميدالية الفضية فى معرض جمعية الفنون لعام١٨٣٨٠*

فى نفس العام، توجه مع والده إلى مقاطعة«الروين» وظل يرسم طوال المسافة التى قطعها فى نهر السين، متجهين نحو الهافر، واللوحات التى انجزها فى هذه الرحلة، لاقت رواجا، وعرضت إحدها فى الأكاديمية الملكية وعلقت عليها جريدة الفن٠

مضت عدة سنوات، وعاد إلى بريطانيا، بحثا عن موضوعات جديدة، ثم زار بلاد الغال وايرلندا التى ألهمته«رحيل المهاجرين»٠

---

*Thornton I.:Ibid, P.155

فى عام١٨٥٢، أنتخب عضوا بالأكاديمية الملكية، وشمله أنصار الفنون والعلوم برعاياتهم، خاصة: سير ويلز دى ريدليف، والمركيزة دى نسداون وارتبط بصداقة شارلز ديكنز، ودانيل ماكليز والممثل ويليام ماكريدى وبعض النقاد والفنانين٠

ومع بداية عام١٨٥٨، بدأ جودول يشعر بالقلق، وقد إستغرقته لوحات المشاهد الشعبية والبورتريهات، وهو الذى يطمح إلى تصوير أحداث ومواقف من التاريخ فى كوادر مناسبة٠

وقام برحلته إلى مصر، وهو يفكر فى هذه الحالة «ان هدفى الوحيد تصوير موضوعات من التاريخ المقدس»٠*

داڤيد روبرتس، الفنان والصديق المقرب لجودول، زوده برسائل توصية قبيل رحيله إلى القاهرة، وقال له أنه فعل نفس الشئ مع الفنان ريتشارد داد سئ الحظ !

مكث جودول نحو سبعة شهور فى مصر(١٨٥٨-١٨٥٩) برفقة السير لويس بيللى، الذى كان بالغ الأعجاب والإيمان بعبقرية جودول، وقال:«اننا خلال نزهة واحدة - على ظهور الحمير- بشوارع الاسكندرية، رأينا بأكثر مما نطمح من مشاهد وموضوعات لحياة كاملة»٠٠ وتأثر جودول بمشهد مدرسة الأطفال ـ الكتاب ـ حيث يجلس «صغار الاتراك القرفصاء على الأرض، يتحلقون حول مدرسهم المعمم، الجالس متربعا يلقنهم القرآن، والتلاميذ يرددون من بعده آية آية»٠

كذلك وصف فى مذكراته« الأسبله الرائعة التى يتزاحم حولها جماعات من الناس، مشهد شديد الجاذبية» وحدثنا عن نساء مصر، فقال:«ليست كل النساء محجبات، وهن يملأن جراتهن ويحملنها على أكتافهن أو رؤوسهن٠٠٠٠ تذكرت حينئذ ما قرأته عن جمال نساء مصر القديمة٠٠ السقاءون يحملون قربا من الجلد والجمال أيضا تحمل مثلهم٠٠ كل هؤلاء يشكلون مجموعات فى مشاهد لم أكن أحلم بها أبدا» !

«يلزمنى وقت طويل حتي أشرع فى العمل، للآن لم أستطع أن أتماسك من الدهشة لهذه المناظر٠٠ أود أن أصرخ من فرط الإنبهار:ماهذه الروعة٠٠وهذا الجمال٠٠ يالها من ملابس٠٠ ويالهم من أناس٠٠ مشاهد جديرة أن ترسم٠٠ لم أهتم كثيرا بما قد يعتقده الترجمان، اننى أصابنى مس من الجنون» !!

---

*Thornton L.:Ibid,P.159

«٠٠ كل ما فى الأمر، أننى ذهلت لكل هذه المشاهد الجديدة٠٠ المثيرة، لقد وجدت نفسى على أرض بكر٠٠ متحررا من كل القيود»وقد يشاركنى القارئ الرأى، أن دهشة جودول الصادقة، وحماسة البرئ، لايمكن أبدا أن يكون كاذبا، فانطباعاته عفوية، لاتحتوى أى أثر للضجر أو الفتور٠٠٠

وعن رحلته إلى القاهرة، يقول:«٠٠ ركبت القطار المتجه إلى القاهرة، والذى وصل فى موعده، حاولت أن أقوم بعملية مسح لهذه المدينة العجيبة،٠٠ ومن القلعة، شاهدت أروع بانوراما للقاهرة٠٠ أجمل المشاهد التى يمكن أن أتخيلها، تتراءى أمام عينى بسرعة لاتصدق، وتنوع لانهائى٠٠ أحاول أن أختزن كل انطباعاتى، وأن أثبت هذه المناظر فى ذاكرتى، والتى لا أستطيع التعبيرعنها إلا فى دفترى، وعمل اسكتشات سريعة لها»

«٠٠استغرقت أسبوعين فى البحث عن منزل أستقر فيه، وقد عثرت على ترجمان، وفر لى قدرا هائلا من الخدمات والحماية، وفئة الترجمانات هذه، يقومون بعمل كل شئ لمستخدميهم، مثل تأجير مسكن وشراء المؤنة اللازمة وحتى عملية طهوالطعام٠٠ وهم فى سلوكهم ملتزمون ومتحفظون، لأنهم فى نهاية خدمتهم، فى حاجة إلى شهادة من مستخدمهم، تمكنهم من الإلتحاق بخدمة آخر»٠

ومن المرجح أن هذا الترجمان، قد ساعد جودول فى أن يتعلم قدرا من الكلمات العربية، وأن يلم بشئ من آداب وتقاليد الشعب المصرى خلال زيارته تلك، والمنزل الذى إستأجره، كان بالحى القبطى، بالقرب من حديقة الأزبكية، وهذه المنطقة المفعمة بالحياة، وفرت ثروة من المشاهد التى فتن بها جودول٠٠نساء متشحات باللون الأزرق أو الأسود، من رؤوسهن حتي أعقابهن، خانات ووكالات مزدحمة، أسواق صاخبة، مواكب أعراس بلا نهاية٠٠ وقد تصادف أن إلتقى صديقه الفنان كارل هاج:«٠٠خرجت ذات يوم قبل تناول طعام الأفطار كالمعتاد٠٠ آه٠٠ من أرى؟ صديقى كارل هاج٠٠ لقد أبدى سرورا عظيما، عندما رأى سكان الحى الذى أقطن فيه، وطلبت منه أن يشاركنى الإقامة فى مسكنى٠٠ وكنا كل صباح: نقوم بنزهة خلال شوارع القاهرة، على ظهور الجياد، فنستمتع بصفاء السماء وروعة الجو وطبيعة تشع بالنضارة، كما قمنا بجولتين خارج القاهرة٠٠ صديقى كارل هاج دائم الحديث عن الرحيل إلى القدس٠

لقد أبدع جودول، وهو الذى عايش روح الشرق، فخلد لنا مشاهد من الحياة المصرية الشرقية، برؤية جمالية، فيها مزيج من الرومانسية والواقعية٠

لويجي ماير

(روما ١٧٥٥ - لندن ١٨٠٣)

تنحدر عـائلة ماير من أصل جيـرماني، وأقدم مـرجع لحياة هذا الفنان، عـثرعليه بمكتـبة«ديكريتى» بأكاديمـية SANLUCA، ويسجل هذا الكتاب، أن الرسام لويجى مـاير «الرومانى» قد حصل على جائزة إحدى مسابقات الرسم التى نظمت فى عام ١٧٧١٠

صحب ماير فى عام ١٧٧٦، الدبلوماسى البريطانى: سـير روبرت اينسلى، إلى مدينة القسطنطينية، الذى يتولى منصب القنصل البريطانى العام فى سنة ١٧٩٤٠ وكان السير اينسلى على درجة رفيعة من الذكاء والثقافة والاستنارة ومن هواة جمع الآثار، فاسـتخدم ماير كرسام وناسخ، وشجعه على القيام بعدة رحلات، يجوب خلالها ربوع الإمبراطورية العثمانية، أثمرت حصيلة ضخمة من اللوحات بالألوان المائية٠ *

زار الفنان مـاير، بلاد اليونان، والبلقـان، وآسيا الصـغرى، وسـوريا وفلسطين، ومصـر، وأفريقـيا الشمالية. وقد أبدع فى تصوير شواهد الحضارات القديمة، وأبرز المعالم، ومشاهد من البيئة الطبيعية والبحرية، ومن الحياة اليومية، وجسد حيوية الشرقيين: عرب، أتراك، شوام، بدو٠٠

وقد طبعت مجمـوعات ماير، طباعة حجرية، فى لندن فيـما بين عامى ١٨٠١و ١٨١٠، وعقب وفاته، واصلت زوجة «كـلارا» متابعة النـشر، وفى عام ١٨٠٩، عرض السـير اينسلى مجـموعته الخـاصة للبيع عدد كـبير من لوحات ماير، تتـصدر مجموعـة«سيرايڤ دى فيكتوريا» ومـتحف«البرت» بلندن وكتب الفن الاستشراقى، ومـؤلفات«جوليو فيراريو» عن العادات والتقـاليد المتوارثة والأزياء القديمة والحديثة لشعـوب الشرق، والتى نشرت مابين عام ١٨١٦ وعام ١٨٣٢، كـذلك كتابه الذى صدر فى ميـلانو سنة ١٨٣١ بعنوان:«وصف فلسطين فى قـصص الاناجيـل» الذى حاول فـيه:ربط الحقـائق العلمية بالملاحظات التصويرية٠

---

*Luigi Mayer: Views in Egypt, London,1804

واللوحات الاستشراقية لمايركانت تستحوذ على إهتمام علماء الآثار، وقد تزامن نشرها مع حملة نابوليون، ونهب وتهريب كنوز الفراعنة إلى أوروبا٠

رافق ماير صديقة السير اينسلى إلى انجلترا، عقب إنتهاء مهمته فى القسطنطينية، واذا لم يكن ماير الفنان الوحيد الذى إرتحل وأبدع فى الامبراطورية العثمانية — فى نهاية القرن الثامن عشر — فهو بلا شك، أغزرهم إنتاجا وأعماله أكثر جاذبية وشهرة٠

جيوسيبي انجيليلي

(١٨٠٣-١٨٤٦)

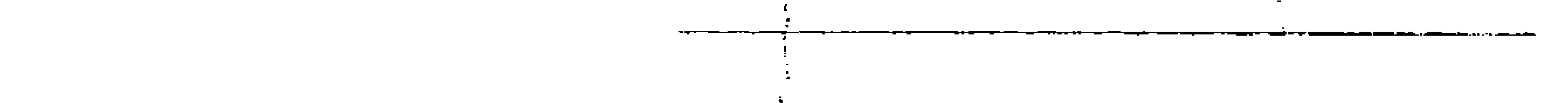
درس انچيليلي بأكاديمية الفنون الجميلة في فلورنسا، قبل أن ينضم إلى«البعثة الفرنسية التوسكانية «الشهيرةعام ١٨٢٨، والتي ضمت العبقري«شامبوليون»··

وبحكم عمله كرسام، لعالم المصريات الفلورنسي«ايبوليتو روسيلليني» فقد أنجز ألف وأربعمائة لوحة، خلال ركوبهم النيل، صاعدين إلى النوبة، صور فيها كثيرا من شواهد حضارة مصر الفرعونية، وقام بحفر أربعمائة عمل من إبداعاته، ضمها كتاب روسيلليني:«آثار مصر والنوبة»الذى نشر فيما بين عامي ١٨٣٢و ١٨٤٤ في ثلاثة أجزاء·

ولوحته الشهيرة النادرة، التي تمثل مجموعة الرحلة«البعثة الفرنسية التوسكانية الأدبية*» بين أطلال طيبة، وتشغل حاليا الدرج الكبير لمتحف الآثار بفلورنسا، وتجمع بين الكلاسيكية الجديدة والمذهب الطبيعي، وتعكس رغبة انجيليلي في تخليد هذه الرحلة، والمشاركين فيها ومهمتهم العلمية·

يتوسط هذه اللوحة، عالم المصريات العبقري«ج·ف· شامبوليون»قائدا للمجموعة، ومن خلفه، روسيليني وأخيه المهندس المعماري«جيتانو»وشيخ مصري ظهره نحو المشاهد، بينما الرسام الفرنسي«الكسندرديشيزن» مسترخيا في أقصى اليسار، لوحة صغيرة وصندوق الألوان المائية بجانبه أما أفراد البعثة الثمانية الآخرون فهم: لورو، بيرتان، الطبيب ريتشي سلڤادوري شيريبيني، بيبينت، نيستور لاهرت، جيوسيبي داوي، وانجيليلي الرزين·· وفي وسط المقدمة: بعض الكنوز الأثرية التي عثر عليها خلال عمليات التنقيب التي قامت بها البعثة، واللون الوردي ينشر اشراقاته على الصحراء، وأشجار النخيل تمتد حتى الأفق، فيما وراء معابد طيبة·

وقد شاهد العالم الألماني«ريتشارد ليبسيوس» هذه اللوحة بعد إنجازها في الأتيلية الفلورنسي لانجيليلي عام١٨٣٦، والتي بلغ مقاسها:٣٠ر٢× ٤٧ر٣ أما اللوحات التحضيرية التي أعدها



*Ackerman G.M.:Les orientalistes de l'Ecole Italienne, Paris,1988,P.19

انجـيليللى لأبحـاث روســيلينى، فقـد وصلت إلى عـدد من هواة المجـمـوعات فى فلـورنسا، وكـان روسيلينى قد خصص فصـلا من كتابه شرح فيه منهج العمل الذى إتبعه انجيليللى، والاسلوب الفنى المتمـيز لهذا الفنان ، كمـا تحدث عن الألوان التى إستـخدمهـا المصريون القدماء، فى نقـوش جدران المقابر والمعابد.

جيمس تيسو

(نانت ١٨٣٦ـ بيلون ١٩٠٢)

بالرغم من أن تيسو قد ولد ودفن فى فرنسا، إلا أنه كان محبا للبريطانيين ومتحيزا لهم مدى حياته٠

عقب حصار باريس عام١٨٧١، كان تيسو لاجئا فى إنجلترا، وقد بدأ بتقليد التراث الفولكلورى للمدرسة البريطانية، حتى برع فى هذا الفن، ثم أبدع مجموعتين من الصور المستوحاه من قصص«العهد القديم» فكانت هذه«المشاهد التوراتية لتيسو» احدى العلامات البارزة فى الفن الاستشراقى البريطانى حتى أطلق عليها «توراة تيسو»!*

نشأ تيسو فى عائلة موسرة، حرصت منذ البداية أن ينال تعليما راقيا لكنه عندما بلغ العشرين من عمره، أصبح طالبا بمدرسة الفنون الجميلة بباريس ويمارس نشاطه الفنى ــ فى الوقت ذاته ــ فى أتيليه هيبوليت فلاندرين ولويس لاموث٠

التقى مع «ويستلر» بمتحف اللوفر، حيث كان كلاهما ينسخان إبداعات «انجر» ، وعن طريق ويستلر، كان يلتقى بمجموعة الفنانين الانجلو ــ أميركان بالعاصمة الفرنسية، وربما بدافع من اعجابه بهذه المجموعة تسمى باسم انجليزى «جيمس» !

وتوطدت أواصر الصداقة بين تيسو وعدد كبير من الفنانين، منهم:ديجا (الذى رسم له صورة شخصية) والفريد ستيفنس البلجيكى ، مانيه، كوربيه، لوجرو ميرسون، وجيروم ٠٠

خلال تلك المرحلة، وخارج هذه الدائرة كانت لوحاته الأولى تخضع لتأثيرات الأسلوب التفصيلى الممل للبارون«لايس» المتخصص فى مناظرالعصور الوسطى، التى كانت موضع اعجاب تيسو٠٠

واللوحات التى عرضت لتيسو فى الصالونات البارسية، كانت تمثل مشاهدا من روايتى«فاوست»و«مارجريت»٠٠ متبعا نصائح جيروم بأن يتجه لرسم البورتريهات والمشاهد

---

*Thornton : Ibid,P.205

القصصية الأكثر حيوية٠

ولمع نجم تيسو فى فن البورتريه، إلى أن إندلعت الحرب الفرنسية الروسية، ومكث بباريس طوال فترة الحصار، وانخرط فى صفوف الحرس الوطنى، ولم يعد إلى لندن، إلا بعد أن رفع الحصار، ويبدو أنه لم يزاول أى نشاط سياسى سواء ملكى أو ثورى، طالما أنه كان يستطيع أن يتردد على باريس بكل حرية ودون أن يخشى الإعتقال !

فى عام ١٨٧٢، كان تيسو قد بدأ يشارك فى بعض مجالات الحياة الاجتماعية فى لندن، وعلى الصعيد الفنى، بدأت لوحاته التى تمثل مشاهدا شعبية من التراث الانجليزى فى الظهور، وقد منحها طابعا فرنسيا أضفى عليها قيمة خاصة٠

فى تلك الفترة، حققت بعض هذه اللوحات شهرة، منها(Too Early) ١٨٧٣ و(Hush) ١٨٧٥ و(The Letter) ١٨٧٦، التى تمثلت فيهابراعته المتميزة فى استخدام التداخل بين اللون والضوء، ورؤية تمزج الشاعرية والواقعية، تؤكد أن للفن عالمه الخاص واستقلاليته عما يدور من جدل حول الدين والاخلاق والفلسفة والسياسة٠٠ !

دافيد ويلكى

(١٧٨٥-١٨٤١)

لم يحظ هذا الفنان البريطانى، بالتقدير والإهتمام الكافى من معاصريه وادرجت أعماله فى مرتبة أقل من التصوير الشعبى٠٠ وإذا أدرنا ظهورنا قليلا عن أعظم لحظات التاريخ، لنتفرغ لبعض مشاهد من الحياة اليومية، نجد أن ويلكى قد مهد الطريق لأجيال من فنانى التصوير الشعبى البريطانى، الذين قلدوا أسلوبه٠

موهبة ويكلى وعبقريته، لم تصقلها الدراسة والإعداد الجيد ٠ والده كان راعيا بمقاطعة «فيفشير» ألحقه بمدرسة إبتدائية محلية، رحل إلى «ايديمبرج» فى الرابعة عشرة من عمرة، حيث سجل نفسه بأكاديمية «تريستيز» التى تأسست بهدف إعداد رسامين صناعيين غير أن أستاذه«جون جراهام» وجهه نحو الإبداع الفنى، وفقا لمناهج الأكاديمية الملكية البريطانية، مع بعض الإستثناءات، لأن «اسكتلندا المتحفظة لم تكن تسمح برسم العرايا» !

حاول ويلكى أن يتغلب على هذه العقبة، برسم بورتريهات لوجوه فى إنفعالات متنوعة، وكان يرسم نفسه أمام المرآه، فى أوضاع مختلفة ، كأنما أراد أن يقتدى بالفنان العظيم «رمبرانت» الذى إتبع هذا الأسلوب! أتقن ويلكى فنون الحفر أيضا، وعندما عاد إلى كالتز، بدأ فى إعداد مجموعة من المشاهد الشعبية، بأسلوب «تينيير» الصغير، ونال شهرته بعد عرض مناظر من حياة القرويات، وباع لوحته«جمال بتليسى» بمبلغ ٢٥ جنيها استرلينيا، فى عام ١٨٠٤، وتوجه إلى لندن بهذه «الثروة»المحدودة !

مجموعته التى عرضت فى لندن، وضعته فى مصاف «تينيير» الذى يقارن به دائما، غير أن بعض النقاد شهدوا له بالتفوق على قدوته، بتنوع المشاهد وعمق وحرارة المشاعر٠٠

فى عام ١٨٢٠، نال شرفا ملكيا، عندما إختاره "جورج الرابع" ليكون رسام القصر الملكى فى

اسكتلندا.

موضوعاته الجاده التى إستلهمها من قصص الكتاب المقدس، لم تلق نجاحا كالذى حققته لوحه "مشهد من قريه» التى رسمها فى كالتز مستخدماً موديلات غير محترفات.

كان ويلكى يرفض دائما هذا النوع من الموديلات، وحركاتهم الآليه المحفوظه، حتى فى لندن ، كان يحصل على بغيته من الطريق ويبدأ موضوعاته دائماً ، برسم الاشخاص أولاً، على قماش أبيض، وبعد أن ينتهى منها تماماً يعود إلى خلفية الموضوع. .

قضى ويلكى حين من الدهر فى اسكتلندا، مساهماً فى حركة التجديد القومى، فى مستهل القرن التاسع عشر، التى ساعدت على إزكائها روايات سير والتر سكوت .

أظهرت بعض إبداعات ويلكى، تأثيرات المشاعر العاطفيه ، بشكل يكاد أن ينطق . . واصل ويلكى نجاحه كمصور مجدد، وقام بعدة زيارات لمتحف اللوفر، وأعجب إعجاباً شديداً بأعمال "روبنز" وحرية فرشاته.

فى عام ١٨٢٥ تدهورت صحته، وزاد الأمر سوءاً، سلسلة من الوفيات العائلية. . فقرر القيام بجوله فى ربوع أوروبا.

توجه أولاً إلى إيطاليا ، ليتمتع برؤية إبداعات فنانى عصرالنهضة، إتجاهه للواقعيه، جعله لم يتأثر بتجديدات الفنانين الألمان فى الموضوعات الدينيه بالاضافة إلى التعاليم البروتستانتيه التى يدين لها، كانت ترفض التعبيه للأساليب الكاثوليكيه!

ثم رحل إلى أسبانيا، وفى ذلك العصر، لم تكن الرحله إليها بالأمر اليسير ، وانبهر وتأثر بأعمال العباقره: ميريللو وفالاسكويز. . ولاحظ أن إسبانيا بلاد مجهولة لكثير من معاصريه من الفنانين، وأثنى كثيراً على جمال طبيعتها وسحرها الأخاذ، مما شجع كل من دافيد روبرتس وفردريك لويس على زيارتها . . الأفكار الجديده دائما تلح على ذهن ويلكى ، لكنه لم يذهب لزيارة المغرب كما فعل روبرتس ولويس. فى طريق عودته، توقف فى باريس للقاء الفنان العظيم "ديلاكروا" وعرض عليه لوحاته التى أنجزها فى إسبانيا، وفى رساله إلى أحد أصدقائه ، سرد ديلاكروا تفاصيل هذه الزيارة ، معبراً عن رأيه: " إننى فى غاية الدهشة ، بعد رؤية هذه الصور، وانى لأتساءل كيف لفنان يتمتع بهذه العبقريه، وبقدر كبير من الإحترام الجدير به ، أن يتأثر إلى هذه الدرجة، بأعمال تختلف تماماً، عن اسلوبه الخاص "!

بعـد إستقـراره فى لندن، وضح فى أعـماله الجـديده، إنبهـاره بأعمـال الأساتذه التى شـاهدها فى المتاحف الأوروبيه، منهم : موريللو، لوكوريج، فانديك وروبينز. .

وقد لاقت موضوعاته الإسبانيه نجاحاً رائعاً ، فى معرض الأكاديميه الملكية بلندن عام ١٨٢٨، حتى أن الملك إشتـرى منها خمـس لوحات، ثم أصدر فى العـام التالى، مرسـوما ملكيـاً بتعيـينه: الرسام الخاص للملك .

وولتر تشارلز هورسلى

١٨٥٥ - ١٩٣٠

تمثلت أبرز ابداعات هورسلى فى تصـوير المشاهد الشعـبيه والبورتريه، وقـد شكل الموتيف الشرقى فى أعماله، جزئاً حيوياً فى مفهومه للوحه التشكيليه الرومانسية.

وقد صقلت موهبة هورسلى فى مرسم والـده:رسام التاريخ ج . س . هورسلى، ودرس بالأكاديميه الملكيه البريطانيه، التى منحته الميداليه الفضيه فى فن البورتريه.

أول لوحه عرضت لـه بمعرض الاكاديميه الملكيـه السنوى عام١٨٧٥ ، وفى نفس العام، عـمل رساماً بالجرافيك، وأرسل الى الهند، فى حـاشية أمير الغال، مكلفـاً بعمل تحقيقات مـصوره لهذه الزيارة .

وفى الهند طلب منه "باهواب باهاوالبور" أن يرسم له مجموعة من مناظر الصيد .

وكان لزاماً عليه أن يرسم طوال جولاته، وقد أتاحت له هذه الرحله، زيارة مصر مرتين .

تشكلت القدرات الإبداعيه لهورسلى فى عصر "الواقـعية الجميلة" وتزود بمعنى عميق للكة الفكاهة، وكان لتنوع المشـاهد وغزارتها دور فى إزدهار إبداعاتـه، التى تألق فيها نزوع واضح نحـو تصوير أنماط الحياه الشرقيه، التى لم يألفها الغرب .

وفى عام ١٨٧٧، عـرضت له عدة لوحـات بمعرض الأكـاديميـه الملكيه، وفى عـام١٨٧٩، عرضت له لوحتان عن القاهرة، ألحقت بمجموعة هندية من المحتمل أنه قام برحلة جديدة إلى مصر، عقب عودته من الهند

وبالرغم من إيثاره اساسـا للموضوعات الهنديه، إلا أن مـعظم إبداعاته، خلال العشـرسنوات التاليه، كان مستلهماً من مصر، وعن الحياه القاهرية بصفة خاصة .

وهذه المشـاهذ القاهرية، إرتكزت على تصـورات استـشرقيـة تقارن بين المـوروث الثقافى الـشرقى والثقافة الغربية .

وعلى سبيل المـثال، رسم هورسلى لوحة لفرقـة موسيقيـة نحاسيه، يرتدون زيهم الخـاص الجميل، تميزه الســتره الحمراء المتـألقة، الموشاه بالذهب والتى تتـباين ألوانها مع خليط من الألوان المبـرقشه

الصارخـه للملابس الشـرقيـه الفخـمه، مع الملابس المـزقة للجـمع الغفيـر الواقف على الجانـبين ، تستـعرض هذه الفرقـة فنونها فى شوارع القـاهرة ، يتقدمـهما رئيسـها، سائراً مـرفوع الرأس فى خيلاء، تبدو عليه سمات الجد، غير مبال ببعض تنافر الاصوات !

وقد إهتم هورسلى برسم بعض المسـلمين، وهم يؤدون الصلاة ، فى طقوسـها البسيطة، أحـياناً فى أماكن قد تبـدو - غير لائقة - للعيـون الأوروبية ، على سبيل المثال، بين بطاريات المدفـعيه على متن بارجة حـربية، أو على ظهر إحـدى مراكب الشركـات السياحـيه، بين دهشة بعض السـائحين الذين راحو يتأملون هذ المشهد !

وأول لوحة فى مـجموعـته الهنديه - كانت تمـثل إحدى الأخوات المتـصدقات تقـدم الماء لأحد طالبى الصدقه، وقد خارت قواه ، وكان هذا التصرف النبيل سـبباً فى فضيحه . . لأنها أمسكت الإناء بيدها اليسرى!

ولوحته الشـهيره: "In Time of Need" التى تصور فتاه تبيع حليـها إلى صاحب حانوت، تعد موضـوعاً فيكتـورياً شائعاً فى الفن الاوروبى ، وبالرعم من تحليـه بروح مرحه، إلا أنه كـان شديد الجديه فى مرسمه، ملتزما بين زملائه، دقيق الملاحظه، جـمع فى شخصيته الفنية الروح الرومانسية والفكر الواقعى ، والتنوع والتجديد فى المعالجة الإبدعية للمعطيات الجمالية للشرق .

(بومبيو ماريانى)

(١٨٥٧-١٩٢٧)

فى المعرض الدولى بروما عام ١٨٨٣، عرض ماريانى أكثر من عشرين لوحة بالألوان الزيتية، قسمت إلى ثلاث مجموعات، بعنوان: «ذكريات الشرق»و«على النيل» و٠٠«ذكرياتى الستة عشر عن مصر»٠٠ أشاد بها الناقد بيلترونى بقوله«لقد جسدت أصالة الروح المصريةالحقيقية»٠٠مع بداية عام ١٨٨١، أبحر ماريانى إلى بريندیزی مع بعض رفاقه، ومنها استقلوا باخرة نمساوية فى طريقها إلى الاسكندرية، وفى ديسمبر عام ١٨٨٢، نشر تحقيق بجريدة(L'illustrazione Italiana) عن هذه الرحلة، مدعما بأحد عشر اسكتشا عن شمال أفريقيا، وورد فيه أن ماريانى بمجرد أن وطأت قدماه أرض المرفأ، بدأ فى رسمه كروكيا، ثم إنصرف متجولا فى شوارع المدينة، حاملا أدوات الرسم وصندوق الألوان، فأثار فضول المارة ودعاه صيدلى يونانى للدخول إلى صيدليته، فوجد نفسه

فى مواجهة أحد الأتراك ضخم الجثة، يطلب منه أن يرسم له صورة شخصية !٠٠
ومن بين اللوحات التى نشرت بالجريدة، عدة موضوعات عن القاهرة وضواحيها، منها مشهد لأشجار البرتقال فى العباسية، ومشهد لقوافل الحجيج العائدة من مكه، و مشهد لصناعة الفخار٠٠ توجه ماريانى لزيارة متحف بولاق للآثار، لمشاهدة مومياوات الفراعنة وآخر انجازات اوجست ماربيت، وتوجه إلى الأهرامات، إلى قمة العظمة الفرعونية كما وصفها٠* وفى شهر ابريل لعام١٨٨٢، اضطر للعودة إلى إيطاليا، بسبب مرض أصاب عينيه، وعقب عودته، عكف فى مرسمه على إنجاز لوحاته المصرية، وعرضها فى روماونيس، وباع عدد كبير منهاإلى هواة المجموعات وبعض الفنانين الإيطاليين٠ وكانت رحلته إلى مصر، مرحلة هامة وحاسمة فى حياته وفنه، توجها

---

*Diehl ch.:La Peinture Orientaliste en Italie,La revue de L'art ancien et Modern,paris,1906 PP.27-28

بحصـوله على جائزة«فوماجـاللى» للتصوير وفى عـام ١٨٨٤، نال جائزة «برنسيب امبـيرتو» وفى العام التالى، حصل على الميدالية الذهبية لصالون باريس.

حققت أعمال ممارياني نجـاحا ملحوظا في ليفربول وميونخ، وألقى محاضـرات فى تصوير الطبيعة وأكاديمية بريرا بميلانو.

وكان قد أنجز وهو فى الثلاثين من عمره مجمـوعة من المناظر البحرية المستوحاه من سواحل جنوه، ولتلك المشاهد جاذبية خاصة عندَ ماريانى في تلك المرحلة .

تميزت لوحاته بالأسلوب التـأثيرى، فكان شديد الإهتمام بتأثيـر الضوء في مشاهد الطبيعـة الريفية، حيث اكتشف أن الألوان المضيئة تضفى نضارة وبريقا متجددا للمشهد، كذلك اشتهر مارياني بالحفر بماء الفـضة، وأهم لوحـاته المصـرية: مـقابر الخلفـاء، ومـشاهد للنيـل والجوامع والمزارات، ضـمن مجموعة «لومازى» فى بورديچيرا.

(والتر تيندال)

(١٨٥٥-١٩٤٣)

مع نهاية القرن التاسع عشر، كان والتر فـردريك تيندال واحدا من أشهر الفنانين المستشرقين، الذين تخصصـوا فى الموضوعات المصرية، وقـد تمتعت ابداعاته عن القاهرة الإسـلامية بشهـرة فائقة، بما بلغته من دقة الـتصوير وسـحر أسر وجاذبيـة متفردة، وقد ألهمـته القاهرة بحياتها اليـومية الحافلة بمشاهد بسطاء الناس، والحـركة الصاخبة فـى الشوارع والطرقات والأسواق وإبراز عظمـة العمارة الإسلاميـة، فأجاد مايمكن أن نسـميه عمليـة توثيق فنى للقاهرة ووادى النيل بصفـة عامة، فى ذلك العصر٠*

كان لتيندال أسلوبه الفنى المتميز، الواضح، يمزج بين الأضـواء والظلال فى براعة، مع دقة التفاصيل وبهجة ألوان متألقة غـزيرة، وحاسة عجيبة فى إختيار الألوان، فيبـدو جليا من دقة إختياراته، أنه لا يريد إختبارحقيقة مشاعرنا، ولكنها طبيعته٠٠

ولد تيندال فى بلجيكا، من أبوين بريطانيين، إمتدت إقامتـهما فى هذه الدولة ، والده كان محاميا، فى سن الخامسة عشرة، التحق بأكاديمية «بريج»٠٠ غير أن الحرب الفرنسية البروسية، كانت سببا فى قطع دراسته، بعدما أجبر والديه على العودة إلى إنجلترا، ليستقروا فى«بيرث» وفى السنوات التالية، كانت ملامح التكوين الفنى لوالتـر، قد بدأت تتبلور نسبيا وفى عام ١٨٤٧، إلتحق بأكـاديمية «انڤير» عندما عادت عائلته لتستقر فى بلجيكا مرة أخرى٠

الطلبـه الأجانب بهذه الأكـاديمية، اشـتهـروا بعدم الإنضـباط والإلتزام بإسـتثناء تينـدال، الذى حاز الميداليـة الفضيـة فى نهاية السنة الأولى، تقديـرا لاجتهاده وتميـزه الفنى ـــ غيـر أنه لم يكمل العام الدراسى الثانى، إذ لم يستطع مقاومة إغراء الدراسة فى باريس٠

وفى باريس، إلتـحق بأتيليه الفنان المسـتشرق«ليـون بونات» الذى كان أحد رمـوز الواقعـية٠٠ فى

Ackerman G.M.:les orientalis tes de l, Ecole Britannique, paris,1990,P. 368

عام١٨٦٨، كان ضـمن المجموعة التى قـادها الفنان «جان ليون جيـروم» وزاروا وادى النيل وسيناء وسوريا، وأثمرت هذه الرحلة، مجموعة رائعة من ابداعات تيندال٠

وهكذا دخل تيندال دائرة المستشـرقين الفرنسيين*، وقد كان للاسكتشـات والقصص التى احضرها معه بونات من مصر، تأثيرا على أحاسيس تيندال وتنمية حبه للمغامرة، وقام بجولة فى باريس، مع قدامى الطلبـة بأكاديمية انفـير، وتحت إشراف الفنان البلجـيكى الشهيـر«جان فان بيـرز» الذى أقام بالعاصمة الفرنسية زمنا٠٠٠

اتسمت الأعمال الفنية الأكاديمية لتيندال بالواقعـية، وضحت فيها تأثيرات التعليم الأكاديمى وتدوينه لملاحظاته عن الطبـيعـة، وان إحتـفظ بشخـصيتـه وأسلوبه الخـاص، الذى تباين مع أعـمال أشـهر الواقعيين: مانيه وكـوربيه وباستيان لوباج٠٠ويروى عنه أنه كان يدرس جيدا، وبدقـة عجيبة، ألوان المشهـد قبل أن يبدعه، كما تميز بتنوع موضـوعاته المختارة بـعناية متخلصا من الإتهـام الموجه إلى الواقعيين بأنهم «لايختارون» موضوعاتهم !

فى عام ١٨٧٨، عاد إلى إنجلتـرا، واشتهر كـرسام بورترية، نظرا للنجاح الذى حقـقه برسم صورة توفى صاحبها، فتوالت عليه الطلبات، لرسم أشخاص من صور فوتوغرافية بعد وفاتهم، هذه «العادة الجنائزية»٠٠ كما أطلق عليهـا، بالإضافة إلى المحـاضرات الخاصـة، أفائت عليه أرباحـا، أهلته لأن يتزوج عام ١٨٨٣٠

فى صيف ١٨٩٣، ظل يمارس الرسم بألوان الماء، مع تلمـيذته الرسامة «هيلين الينجـهام» حتى برع فى هذا الفن، ثم قضى أجازة فى طنجه ١٨٩٤–١٨٩٥ أنجز خلالها عددا من لوحات ألوان الماء، غاية فى الرقة، حـتى أن مسـئولى معـرض«دودى زويل جاليـرى» لندن، طلبوا منه أن يرحل إلى مـصر وإبداع ستين مشهدا عنها٠*

فى ابريل ١٨٩٧ ، وصل تيندال إلى القاهرة، ليـقضى عامين بمصر، وشـهور الصيف منهمـا قضاها فى لبنان وسوريا، ومـع الفنان«هنرى سامبسون» قضى سبعة أسابيع بمدينة رشيد، والتى رآى فيها سامبسون أنها أكثر الأماكن مثالية لإقامة فنان فى مصر، وهى التى تأثرت بالتحديث والتطوير الذى شمل الاسكندرية فى عهد محمد على وخلفائه٠

---

*Hautecoeur L.:La Litterature et Peintres voyageurs 1828-1908,Paris,1983,P.166
* Ibid: PP168

واجه تيندال بعض الصعوبات، مثل ازعاج الأطفال والمتطفلين وبعض المتشددين الذين يحرمون رسم الأشخاص٠٠ فى شهر رمضان، حدث أن احتج عليه شاب، إحتجاجا مقزعا، لدخول إحدى بائعات الفاكهة إلى مرسمه، تطورت إلى مشادة عنيفة نتج عنها إصابة تيندال ببعض الكدمات، فأبلغ الشرطة، ويحبس هذا الشاب ستة عشر يوما٠

وروى تيندال أنه كان جالسا ــ ذات يوم ــ فى حانوت، يرسم بوابة أحد الجوامع فى مواجهته، فإجتذب انتباهه موكب عرس، رجال فوق صهوات الجياد، وفرقة موسيقية على ظهور الحمير، أطفال فى ثياب جديدة، وجمال مزينه، والبعض يتبارزون بالعصى، والعروس تحت مظلة حريرية حمراء، يحف بها نساء محجبات يطلقن الزغاريد٠٠ وبذل قصارى جهده فى أن يختزن تفاصيل عديدة فى ذاكرته، مما إضطره إلى التوقف عن الرسم فى هذا اليوم !

ويغلب على مشاهد القاهرة التى أبدعها تيندال، تصوير أشهر معالم العمارة الإسلامية*، جوامع وأسبله، ومناظر داخلية لها، وبعض الأضرحة ، وشوارع وأسواق، تميزت بواقعية التفاصيل، وتناغم الألوان التى تخيرها بعناية، وإحترامه لفن العمارة، جعل من هذه المعالم التى رسمها قيمة فينة، أكثر من كونها مجرد ديكورات، والأسوار الهائلة أستخدمت كدعامات لتفاصيل محددة غير مرهقة، وتمازج الضوء والظل فى الواقع، ساعده على ألا يقع فى إشكالية التكوينات الآلية المتشابهة !

فى عام ١٨٩٨، أنجز عددا من اللوحات، أرسل بها إلى بريطانيا، أقيم لها معرض خاص فى لندن، وفضل أن يبقى فى الشرق الأوسط حتى ابريل ١٨٩٩، وزار فى طريق عودته جزيرة صقلية، وفى يونيو من نفس العام، أقام معرضه الخاص الثانى، بعنوان:«القاهرة ــ القدس ــ صقلية»٠٠

في عام ١٩٠٠، قام برحلة إلى إيطاليا، أثمرت عن مجموعة لوحات تثمل أشهر الأسواق الإيطالية، وفى البندقية إلتقى بالفنان«سامبسون» مرة أخرى٠٠ وفى عام ١٩٠٥، عاوده الحنين إلى القاهرة، ليبقى فيها معظم السنوات الخمس التالية٠٠ وبصحبة صديقه سامبسون يصعدا النيل، بدعوة من أسرة إنجليزية، فى دهبيتها الخاصة، فأمضيا ثلاثة شهور فى بلاد النوبة ، ثم انحدرا مع النهر، وتوقفا بمدينة الأقصر، نحو ثلاثة أسابيع، ليعود إليها فى العام التالى، وينسخ النقوش البارزة لمعبد الدير البحرى الشهير، ويبعث بها إلى متحف« المتروبوليتان» بنيويورك،ومتاحف تورنتو وادينبرج،

---

* Ibid: PP.169-170

أيضا نشط فى نسخ نقوش معبد سيتى الأول ومعبد إدفو، وكان وعالم المصريات«آرثر ويجال»
يعيشان بين هذه الاطلال — بتصريح خاص — وبيناما أعلى معبد إدفو، هربا من الحرارة الشديدة
داخل أبهاء المعبد وقد تسبب ارتفاع الحرارة والأتربة، فى إصابتهما بالتهاب رئوى، إستدعى نقلهما
إلى مستشفى الإرسالية بأسيوط، ثم عودتهما إلى إنجلترا، ولكنهما فى فصل الشتاء عادا إلى
الأقصر مرة أخرى !

والأعمال التى أبدعها تيندال فى تلك الفترة، شكلت محورا هاما فى كتابيه، الأول« مصر، مابعد
الشلالات» ١٩٠٧ والثانى«فنان فى مصر»* ١٩١٢، ونصوص هذين الكتابين، تتضمن انطباعاته
الذاتية من خلال جولاته بمدينة القاهرة، ووصف لمواقع أثرية بطول ضفاف النيل، وبعض القصص
المسلية ، واستمتع تيندال بالدهبيات الفاخرة الخاصة بأصدقائه الأثرياء، وكان من اليسير أن يعود
إلى إنجلترا خلال فصول الصيف٠٠ وقام برحلة مع صديقه«ويجال» من مدينة قوص إلى القصير،
عبر الصحراء الشرقية، مستخدمين الطريق الوعر المعروف منذ عهود الفراعنة٠

---

*Tindal W.:Artest in Egypt, London,1912

وليم هولمان هنت

هو أحد رواد مذهب«قبل الرفائيلية ــ Preraphaelisme الذى اعتنقه بعض الفنانين الإنجليز بهدف تجديد الفن البريطانى بتقليد الفنانيين السابقين على رفائيل ·· وتركز اهتمامهم على استلهام الموضوعات الدينية التاريخية··

وقد افتتح هنت الطريق بلوحته الشهيرة:

«Christ and the Two Maries» واستمر فى هذا الإتجاه، بانجاز عدد من اللوحات التى تمجد تاريخ الكنيسة الكلاسيكى فى بريطانيا·· مع نقده الضمنى للاكليروس !

وقد بلغ ذروه إبداعاته فى هذه المجموعة بلوحة

«The Light of the World» التى تظهر المسيح فى الليل، ممسكا بقنديل، يطرق أحد الأبواب المغطى بحشائش برية·· فى مزج يثير الدهشة بين الواقعية والرومانسية المفرطة·· !

عندما رأى «توماس كارليل» هذه اللوحة جاهزة للعرض فى مرسم هنت، سأله ساخرا عما إذا كان يعتقد حقا بأن المسيح كان يتنقل وهو يرتدى زيا مضحكا كهذا«ملابس قسيس وتاج مذهب على رأسه، وعلق على صدره هذا النوع من الحلى» !·· هذه اللوحة أصبحت الايقونة البروتستانتية الكبرى فى هذا القرن·· كما أصبحت مصدر ثراء لهنت! استثمر هنت جزءا من حصيلة بيع هذه اللوحة، وخصص ماتبقى لتمويل رحلة إلى الشرق، وقد وصف فى سيرته الذاتية، هذه الرحلة التى فرضتها الرغبة فى زيارة الشرق ومعايشته والكشف عن الغموض، واستكناه أسرار أزمنة الكتب المقدسة·

وكتب عن انطباعاته بمجرد أن وطأت قدميه أرض مصر:

«·· فجأة أدركت كيفية الافلات من زيف الحياة الحضارية المصطنعة·· فالطبيعة تهب نفسها بجمالها البكر، البسيط ··والحياة تبدو وكأنها تخلق من جديد» !

ويضيف قائلا:«·· لم أكن أطمح لتصوير مصر الحديثة، ماشاهدته ودرسته فيها، لم يكن إلا لتنقية

ماتعلمناه من التاريخ القديم٠٠ فجميع العادات الموروثة، من جيل إلى جيل، والأزياء٠٠ والذوق الإنسانى٠٠ كلها مهددة بالإنقراض٠٠ ربما فات الإوان على مقدرة أحد الأجيال، على إعادة تشكيل الماضى٠٠ الذى قد نلمس بعض مظاهره فى حياة الريف والصحراء»٠

ورأيه فى الأهرام:«أنها كتل كريهة المنظر، شيدت بأقل درجات الروعة» !

وتمثل لوحته:«The Lantern Maker,s Courtship» حدثا كان هو شاهد عيان له بأحد شوارع القاهرة٠٠ فكتب فى مذكراته:«لقد حاول أحد الحرفيين كشف وجه خطيبته المحجبة، ويعتبر هذا العمل ــ كشف الحجاب ــ خطأ لايغتفر، والفم والذقن هما أقصى مايسمح الأدب والتقاليد برؤيتهما٠٠ وهذه الواقعة ترمز إلى الخير الإنسانى، وفى رأيى أنه مبدأ طيب»

ثم واجه هنت مشاكل جم، فى محاولته العثور على فتاة تصلح موديلا للوحته«The After Glowing Egypt» ويأس من الحصول عليها ، فتوجه مع صديق له إلى أحد المواخير، آملا أن يجد إحدى البغايا التى تقبل الوقوف أمام رسام٠ ولكنه عبر عن هذا الموقف بقوله«يبدو أن البغايا قد وقع عليهن الاختيار، لإظهار الجانب القبيح المنفر للرذيلة على وجوههن طريقة حكيمة يمكن أن تلاقى نجاحا٠٠ ويبدو أننى سأعمل بها»!

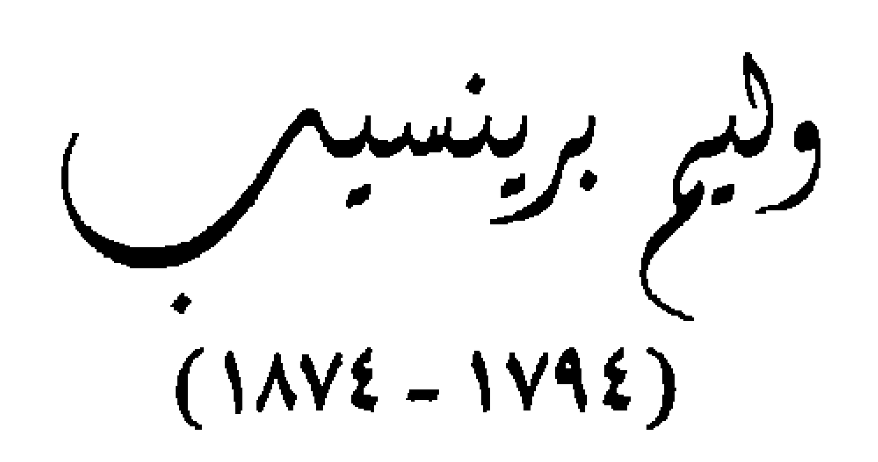
وكان هنت نقد إلتقى صديقه الفنان«توماس سيدون» الذى سبقه فى الرحيل إلى القاهرة٠٠ فكان أكبر همومه، شعوره بأن صديقه سيدون«أصبح من الأهالى» فقد بدأ فى تعلم اللغة العربية وتزيا بملابس شرقية !

وأقام مع صديقه معسكرا بالقرب من الجيزة، وهربا من العواصف، إنتقل هنت للإقامة فى أحد فنادق المدينة٠٠ وكان سيدون يستثيره بتهريجه وقصصه ونوادره٠٠ إلا أن معرفته بقدر من اللغة العربية، أفادت هنت فى التغلب على الصعوبات التى واجهها٠

وعندما وصل هنت إلى القدس، إصطدم بنفس المشاكل التى واجهها فى القاهرة، عندما أراد البحث عن موديلات يهوديات للوحته:

«The Finding of the Saviour in the Temple»٠

فالتقاليد الدينية تحرم على النساء الوقوف كموديلات، ولما صار هدفه معروفا حرص الحاخامات على التشدد فى منع قبول أبناء الطائفة لما ينشده هنت٠٠بل وتحريم مجالسته فى اجتماعاتهم !



(١٧٩٤ - ١٨٧٤)

كان مستر "جون" والد الفنان وليم برينسيب، واحدا من قيادات "الشركة الهنديه الشرقية" . . ومؤسس تجارة " النيله" مع الهند . إستقر فى مدينة كلكتا سنة ١٧٧١ ، حيث كون ثروة ، ساعدته فى تنشئة أولاده البالغ عددهم أحد عشر طفلا . . اشتهر منهم أربعة كرسامين بالألوان المائية، وقد توارثت الاجيال التاليه لهذه العائلة، القدرات الفنية، فكان أبرزهم الحفيد "فالنتين كاميرون برينسيب" تلميذ واتس، الذى ذاعت شهرته فى نهاية العهد الفيكتورى.

فى كلكتا، تلقى وليم برينسيب، دروسا فى الرسم بألوان الماء ، على يد الفنان البريطانى "جورج تشينرى" الذى إستقر بالهند منذ عام ١٨٠٢ حتى عام ١٨٢٥ .وكان لتشينرى شهرته كرسام بورتريه بألوان الزيت، كما صدرت له عدة ألبومات، تمثل مشاهد من البيئة الطبيعيه للهند .وإلتحق برينسيب بشركة "بالمرو" . . وتقدم باستقالته عام ١٨٣٠، ليعمل فى مجالات التجارة الحره والبنوك. وفى غضون إثنتا عشر عاماً، جمع ثروة هائلة ، ثم غادر الهند عائداً إلى انجلترمن بومباى، أبحر برينسيب على متن إحدى بواخر شركة (T.coke) متجهاً إلى السويس ، فى أول يناير سنة ١٨٤٢ ، لم يدون أية يوميات خلال رحلته، لكنه رسم العديد من الاسكتشات عن انطباعاته الذاتيه لعرضها على أفراد عائلته وأصدقائه . .

وتجدر الإشاره، الى أن ميناء عدن بمدخل البحر الاحمر، أصبح محطة هامة للمسافرين، وعقب الإحتلال البريطانى عام ١٨٣٨، أقامت السلطات الانجليزيه فيه مستودعاً للفحم، على الطريق إلى الهند، كما تزودت المدينة بعدة فنادق جيده، وبعد أن تتزود البواخر بالفحم، تواصل رحلتها فى البحر الاحمر، للتزود مرة أخرى فى مدينة القصير المصرية .

ومن السويس، يتجه المسافرون إلى القاهرة عن طريق الصحراء فى عربات تجرها الخيول، أو على

ظهور الحمير أو الجياد، وبعد إقامة قصيرة بالقاهرة، يتوجه المسافرون إلى الاسكندرية عن طريق النيل ، ومنها يستقلون باخرة شركة (Dando) فى رحلتها الشهرية الى انجلترا.

ومن المعروف أن ميناء عدن، يقع فى حوض بركان قديم، والطبيعة الساحره للمدينة، وجبل "شمس - هان" الذى يحتضن المدينه، كل ذلك دفع برينسيب إلى إنجاز العديد من المشاهد المتنوعه عنها . .

برينسيب ورفاقه المحبون للمغامرات، أجمعوا أمرهم على زيارة وادى النيل، وقضاء بعض الوقت بالقاهرة، فغادوروا الباخرة فى ميناء القصير ورحلوا إلى "طيبة" التى تبعد عن الساحل نحو ٢٠٠ ك/م والطريق من القصير إلى وادى النيل، يرجع تاريخه الى عصور الفراعنه، حيث أسهم هذا لطريق فى إستغلال ثروات الجبال، كما أصبح طريقاً للمواصلات الرومانيه، ويضم بعضاً من أطلال مواقع رومانيه وآبار مهجورة. وغالباً ماكانت تستخدم الجمال لاجتياز هذا الطريق الوعر، والرحلة كانت تستغرق نحو تسعة أيام ، فالطريق ملىء بالنتوّات الصخريه، كما كبد مجموعة من برينسيب كثير من المشاق، وقد أنجز برينسيب سبع لوحات، لهذا الممر الجبلى وللقافله عندما إتخذت طريقها فى الصحراء، وبعد أن غادرت المنطقة الجبليه، وكان شاهداً لحفل عرس فى بلدة "لقط" سجله فى إحدى لوحاته، وأبدع لوحته "أول منظر للنيل" بعد خمسة أيام من مغادرته القصير .

لم يكن برينسيب ومجموعته، شهوداً فحسب على تباين اللون الازرق، السماوى الخلاب المنعكس على صفحة الماء، بل أيضاً تلك الخضرة اليانعة التى تكسو ضفتى النيل فى عمق الوادى، مشهد رائع دائماً فى إنتظار الزائر . . أو الفنان !

أقام برينسيب لفترة أطول فى الأقصر،أبدع خلالها العديد من المشاهد الرائعة لأطلال ومعابد المدينة ، سواء منها ما يتراءى خلف الحقول الخضراء أو تلك التى تحتضنها الصحراء، كذلك خلد أيضاً زيارته لوادى الملوك .
بعد ذلك، إستقلت هذه المجموعة "دهبيه" انحدرت بها مع النيل ورسم برينسيب مشهدين لمعبد دندره، أحدهما داخلى والاخر خارجى، عندما كانت الرمال تغطيه إلى منتصفه تقريباً .

وخلال إقامـة قصيرة بمدينة أسـيوط، زار منطقة المقابر، وصور مـشهداً لعدد من الأسـرى: ضحايا تجارة الرقيق !

وفى بنى سويف ، رسم سـوق المدينه فى عدة مشـاهد، وفى موقع "منفيس" الـقديمه . . إستـحوذ على إعجابه، تمثـال ضخم لرمسيس الثانى، قـد تم تنظيفه من الطين والأتربه، فثـبت هذا المشهد فى واحدة من أروع اعماله !

القاهرة ثرية بمعطياتهـا الحضاريه، فكانت فردوساً لرسامى الألوان المائيـة، فرسم برينسيب مناظر من شوارع القـاهرة، وبعض من أسواقـها، ومسـاجدها . . كمـا زار الجيـزة، ورسم الأهرام وسوق المدينه . . .

ومن بين اللوحات الطريفه التى أبدعها برينسيب عدة مشاهد لأحد حمامات القاهرة، بداية من عرض واجهتـه على الطريق، إلى طقوس الاستحمام الـتى تؤدى بداخله، ثم الإسترخاء بغرفة الإسـتراحة، وبرينسيب نفسه يبدو ممدداً، وملفوفاً فى عدة مناشف ينتظر قهوته !

أوريللي، جيوسيبي

(روما ١٨٥٨ - انزيو ١٩٢٩)

لوحـات تمثل تاريخ ايطاليـا، وبورتريهات لـلعائله المالكه الايـطالية، كـانت سبـبـا في زيوع شهـرة "جيوسيبي" بالاضافة الى الكثير من لوحـات بالالوان المائية، لمشاهد شرقية: عن الحريم، والجرس، والاسواق العـربية، والمدهش أنه لم يقم بأى رحلة الي الشرق ! . . ولكن مـثل الكثير من معـاصريه، إستلـهم ابداعاته من الوثائق الغـزيرة المزودة باللوحات والصـور الفوتوغـرافيـة، وكتابات الـرحالة والمؤلفـات الاستشـراقيـه وحكايات ألف ليله وليلة التى غـزت اوروبا في النصف الثاني مـن القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

درس "أورييللي" في أكـاديميـة " SAN LUCA " * حيث تتلمـذ علي يد "سيزار مـاكاري" و "بترو جايا رينى" . .

كـان يعرض دائمـا في روما، وتيـران، وبولونيـا بين عام ١٨٨٣ ، ١٩٠٧ ، وشـارك في باريس في المعرض العالمي لعام ١٨٨٩ وفي صالونات ١٨٩١ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٧ .

وعرض أيضا لوحـات من التاريخ في المعرض الدولي لعام ١٨٨٨في ميـونيخ، والمعرض العالمي في شيكاغو لعام ١٨٩٣ .

أما بالنسبة للوحاته التي يرسمهـا بالألوان المائية عن مناظر الشرق، نادراً ما كانت تعرض نظرًا لأن هواة المجموعات من الأوروبيين والأمريكيين كانوا يشترونها بمجرد أن ينتهي من رسمها* . . !

إحدي اللوحات بعنوان "شرقي" عرضت في معـرض الفنون الجميلة السبعين في عام ١٩٠٠ . ولما كان مـرسمـه يقع فى شارع مارجـوتارقم٤٨،كان "أوريللى" يستطيع أن يتـبادل الافكار مع بعض الرسامين المستشرقين ذوى الانتاج الغزير فى روما.

فكان يسلك نفس السلم الـضيق، الذى يؤدى دائمـا الى مجـموعة مـن المراسم المتشـابهة "أقـفاص

---

*Ackerman G.M:les orientalistes de L'Ecole Italienne,Paris,1988,P.20
* Ibid: PP.169-170

الأرانب" مثل "نازاريـنو كيبـريانى" و "فيليـبو بارتيلينى"، و "انريكو تارينجـى"، ورسام الكتب "ايتورى اكزيمينيس"

ويطغى على التـركـيب الفنى لابداعـات أوريللى: الموتيـفـات الشرقـيـة التى تحـقق له تناغم الالوان وتداعياتها مع الضوء والظل، فـقد كان شغوفاً بفنون الأرابيسك والسيـراميك ، أغطية جلود الفهود، الأزياء الشرقية، نباتات المناطق الدافئة والتى كان يحتفظ ببعضها فى أوان زجاجيه بمرسمه الخاص !

وبعض من إبداعات أوريللى تعـرض فى المعرض القومى للفن الحـديث وكذلك فى (L'Aula del Consiglio Provinciale) فى روما، ومتحفّ جاليرى لندن . .

ولكن معظم لوحاته الاستشراقية تتضمنها مجموعات خاصة .

وليم جيمس مولر

(بريستول ١٨١٢ - لندن ١٨٤٥)

نال "مولر" شهرة محدودة فى حياته، فقد أعقب مباشرة الفنان " تيرنر" فى تصوير مشاهد الطبيعه، فلم يكن معروفاً إلا فى أوساط هواة المجموعات الفنية، وتتناثر أعماله فى كثير من هذه المجموعات، حيث بات من الصعب حصرها !

وقد حظي بشهرته المحدوده – في عصره – عن إبداعاته بالألوان الزيتيه التي تصور مناظر من الحياه المصريه، عرضها فيما بين عامي ١٨٣٩ – ١٨٤٣ .

ولد مولر بمدينة بريستول في عائلة موسرة ، علي درجة من الاهتمام بالعلم والثقافة . وكان والده مهاجراً من بروسيا، شجعه علي رسم مشاهد الطبيعه، ومحاكاة آثار متحف بريستول، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره تعهده رسام مغمور يدعي "ج . بيني" وأحرز مولر تقدماً ملموساً، لكنه فقد والده في التاسعة عشر ، وتولت أمه رعايته، وأصبح يتكسب من رسمه لمشاهد الطبيعه . *

ثم إرتبط مولر بصداقات مع معظم فناني مدرسة بريستول، ومع أعضاء جمعيات الرسم المحليه. في عام ١٨٣٤، قام بجولة طويلة بين ربوع أوروبا، بدأت بالرحيل إلي بلجيكا، ثم سويسرا، وإنتهت في إيطاليا أنجز خلالها العديد من اللوحات بألوان الزيت والماء، والاسلوب الفني لهذه المجموعة، تأثر كثيرا باسلوب "ك . ستينفليد" و "تيرنر" .

أولي لوحاته التي عرضت بالاكاديمية الملكيه "انهيار كوبرى لندن العتيق" كانت في عام ١٨٣٣، وبالرغم من هذه البداية اللندنية ،إلا أنه عاد إلي بريستول، حيث كان راغباً في تدعيم شهرته قبل

---

*Thornton L: Ibid,P.154

الإستقرار في العاصمة البريطانية .

"مولر" و "دافيد روبرتس" تزامن حضورهما إلى مصر في سنة ١٨٣٨،* وإن كانت رحلة روبرتس أطول وأشمل، كما أن مولر كان يتنقل في ظروف مرفهه إلي حد ما، إلتقيا بالقاهرة في يناير ١٨٣٩، بعد أن أتم كلاهما رحلة في النيل، وكانت بينهما رسائل متبادله .

كان روبرتس يتباهى بأنه أول فنان بريطاني زار مصر، مستقلا عن بعثات دراسة الآثار والتنقيب عنها، ولم يمهل القدر مولر عمرا كافيا للمطالبة بشرف ما، كان روبرتس يكبره بنحو خمسة عشر عاما، وقد واصل رحلته إلى فلسطين وسوريا· فأنجز الكثير من إبداعاته الاستشراقية، ومنها ما أبدعه من مخزون ذكرياته·

وبالرغم من حب مولر للمغامرة، إلا أنه لم تتوافر لديه الامكانيات ليرحل فى قافلة عبر سيناء إلى القدس·

---

*Ballantine J.The Life of David Roberts, Edinburgh,1886,P.101

(بروسبير ماريلا)

(١٨١١ـ١٨٤٨)

فى معرض صـــالون باريس عام ١٨٣٤، كتب الأديب المستشــرق: تيوفيل جوتييه٠٠«لقـد حققت لى لوحات ماريلا، صورة أحلامى عن الشرق، وفيها شعرت باننى وجدت وطنى الحقيقى»٠

درس ماريلا فى أتيـليه فنان ايطالى مـغمور«فـالنتين» سبق له زيارة الشـرق، ثم انتقل إلى مـتحف الفنان روكبلان المـغرم بالشرقيات، وشـاءت الصدفة وحدها أن تحمـل ماريلا إلى الشرق،* فـــفى عام١٨٣١ أتى عالم النبات الالمانى البارون«فون هيجل» إلى متحف روكيلان، بحثا عن رسام يرافقه فى رحلته إلى الشرق، ووقع إختـياره على ماريلا، واستغرقت هذه الرحلة نحـو عامين، طاف خلالها بمصر وفلسطين ولبنان وسوريا، متنقلا فى خيمة أينما حل، وســجل معالم الطبيعة الشرقية وأنماط الحياة ومظاهرها: الجغرافية والتاريخية والحيوانية والنباتية٠٠٠

ثم حدث أن اختلف مــاريلا مع العالم الالمانى، فكان فراق بينهما، وظل عـدة شهور بالاسكندرية، إلى أن التـقى الفنان«بريس داڤن» وارتحـلا معـا إلى صعـيد مـصر، لتـسـجيل مـابقى من روائع فنون الفراعنة٠٠

ارتبطت شهرة ماريلا بمصر خاصة، وكـان يذيل لوحاته دائما باسم«ماريلا المصرى»٠٠ وقد حاول دائما، أن يجسد فى لوحاته الشرق الرومانسى الحـالم، مصدر الالهام والإبداع، وقد كتب فى احدى رسائله:«فى اليـونان آثار رائعة، قد لانجـد لها مثـيلا فى مصر ولكن الـناس فى مصر أكثـر روعة، مازالت تتوافر فيهم تلك الشخصيات والصور التى أبدعت فى فن النحت المصرى القديم»

وفى رسالة أخرى، أشار ماريلا إلى التأثير الهائل الذى تركته فى نفسه، المساجد فى مصر، وتماثلها مع الطرز المعـمارية للكنيـسة القـوطية*٠٠ وهذا يؤكد ولع الفنانـين الرومانسيين، بتـصوير المنائر والجوامع والاسبله وغيرها، مما يتجاوب مع الأفكار الجمالية للذوق الرومانسى٠٠

*Ackerman G.M:Ibid.PP.34-35
*Carre J.M:Ibid:vol 2,P.115

من أبرز ابداعات ماريلا، لوحة«شارع فى القاهرة» التى تجلت فيها كل أنواع العمارة الإسلامية، فى وحدة بنائية متناسقة ومتكاملة، وحركة الحياة المتمثلة فى مجموعات البشر والحيوانات والأشجار، وتمازج الضوء والظلال فى مهارة واحساس مرهف بأدق التفاصيل المعمارية وإبراز فخامتها·

وبراعة ماريلا وعبقريته الفذة، تتجلى فى لوحته الشهيرة«مشهد من ميدان بالقاهرة»·· المنارات السامقة التى ترتفع إلى السماء فى شموخ وبيوت شرقية تزينها الزخارف الإسلامية الفخمة، وأشجار باسقة، ووحدة المشهد تجسد إندماج الواقع بالخيال وتبرز شاعرية المدينة وواقعها اليومى·

كتب ماريلا فى يومياته:*«ترى حدة المتضادات فى القاهرة بالذات، فهناك، يذوب كل شىء فى إنسجام المنظر الغريب، الاضرحة والمساجد والبساتين والنخيل·· والنيل الذى يبعث بألفة الحياة فى الصحراء والأنماط المتعددة للمبانى·· الأزقة الضيقة حيث يحتشد الناس·· تراكم ذرات الرمال فوق آلاف المآذن، التى تزينها زخارف إسلامية دقيقة·· بلا شك أن هذا المشهد المدهش يحفز حمية الفنان»·

فى لوحته«اطلال مسجد الحاكم فى القاهرة»·· تمثل بقايا منارة المسجد والجدران والأعمدة الضخمة، وسماء ذات تدرجات لونية متعددة، وسكون يدعو إلى التأمل، وهدوء يمثل ذلك المكان الصحراوى وايقاع بطئ لحركة الأفراد·· وتعد هذه اللوحة، نقلة جديدة فى نظرته الفنية لعالم الشرق··

وتجدر الإشارة إلى أن الفن الفرنسى، فى مرحلة ما قبل ماريلا، لم يعرف الطبيعة الروحية للشرق، فالمشاعر الذاتية لهذا الفنان العظيم، أضفت على الفن الاستشراقى لونا من الرومانسية الجذابة المؤثرة، فلوحاته المصرية بالتحديد، كانت إنعكاسا لروحه الشفافة وهو ينشد الحياة المثالية وشكلت أشجارالنخيل والجوامع والاسبلة والشوارع والجمال والأزياء الشرقية الموضوع الرئيسى فى إبداعاته··

لقد بدأ ماريلا بالشرق وإنتهى به، وترك لنا إبداعات مفعمة بالشاعرية والشفافية والموسيقى اللونية·· فبدت كحلم آت من بعيد يسرق البصر من بين خطوط وإشارات، حملتها التداعيات من عوالم سحرية غامضة !

*Hautecoeur L,:Ibid:P.97

ببليواجرافيا

****

1 Carre J.M: Voyageurs et ecrivains Francais en Egypte, IFAO, Le caire, 1932,2 Vols,

2 Diehl ch.: La Peinture Orientaliste en Italie au Temps de La Renaissance, La Revue de L' art ancien et Moderne, Paris,1906

3 Fromentin E: une ete dans le Sahara, Paris, 1857

,, ,, :Les Lettres de Jeunesse, Paris 1909.

4 Gerald M.Ackerman: Les Orientqlises de L, ecole Britqnnique,ACR edition 1990.

5 ,, ,, ,, :Les orientalistes de L,Ecole italienne.

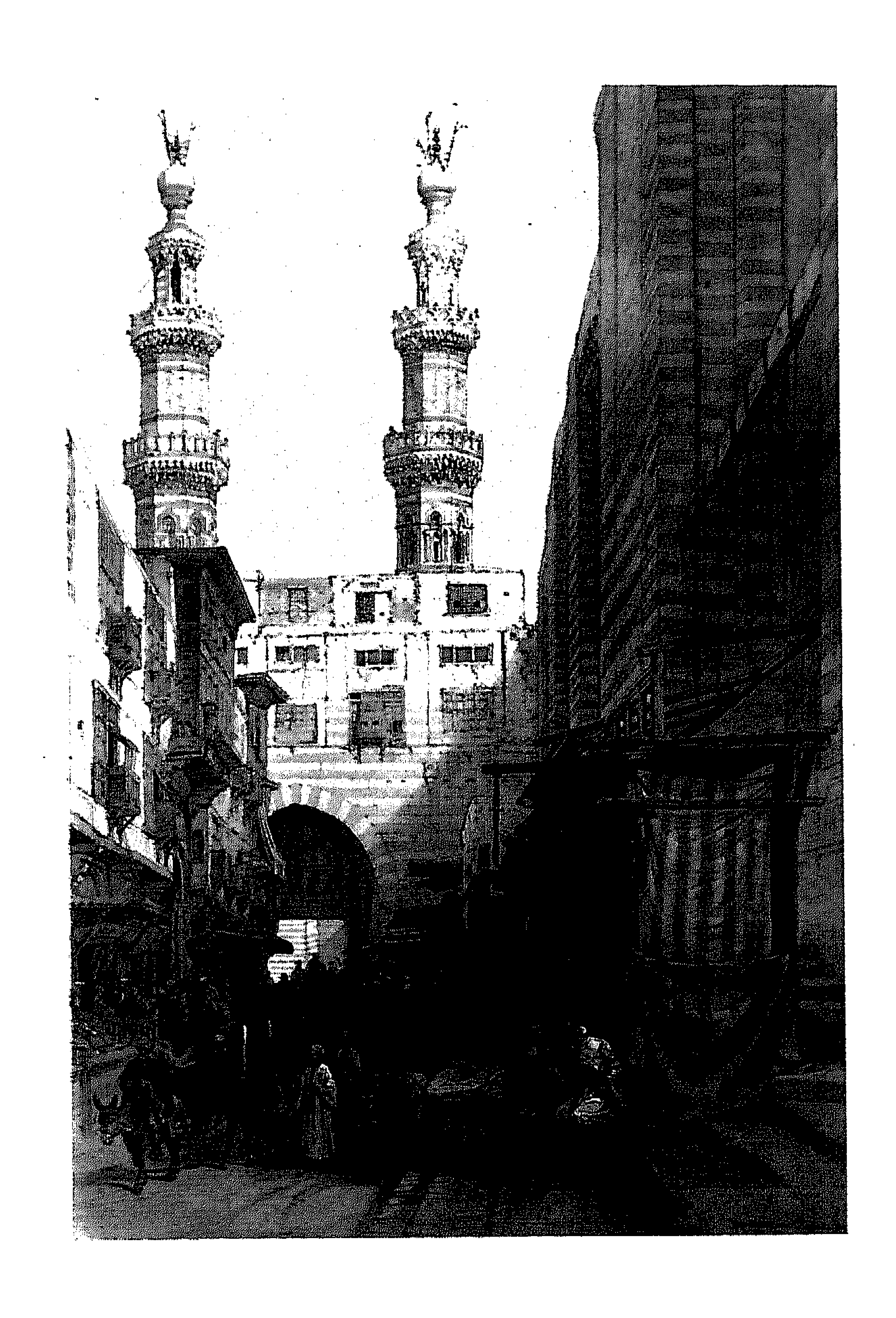
6 Hautecoeur L.: La Litterature et Peinture en France de XVII au xix Siecle,, Paris 1963

7 Lynne Thornton: Les Orintalistes, Peintres Voyageurs 1828- 1908 Paris, 1983

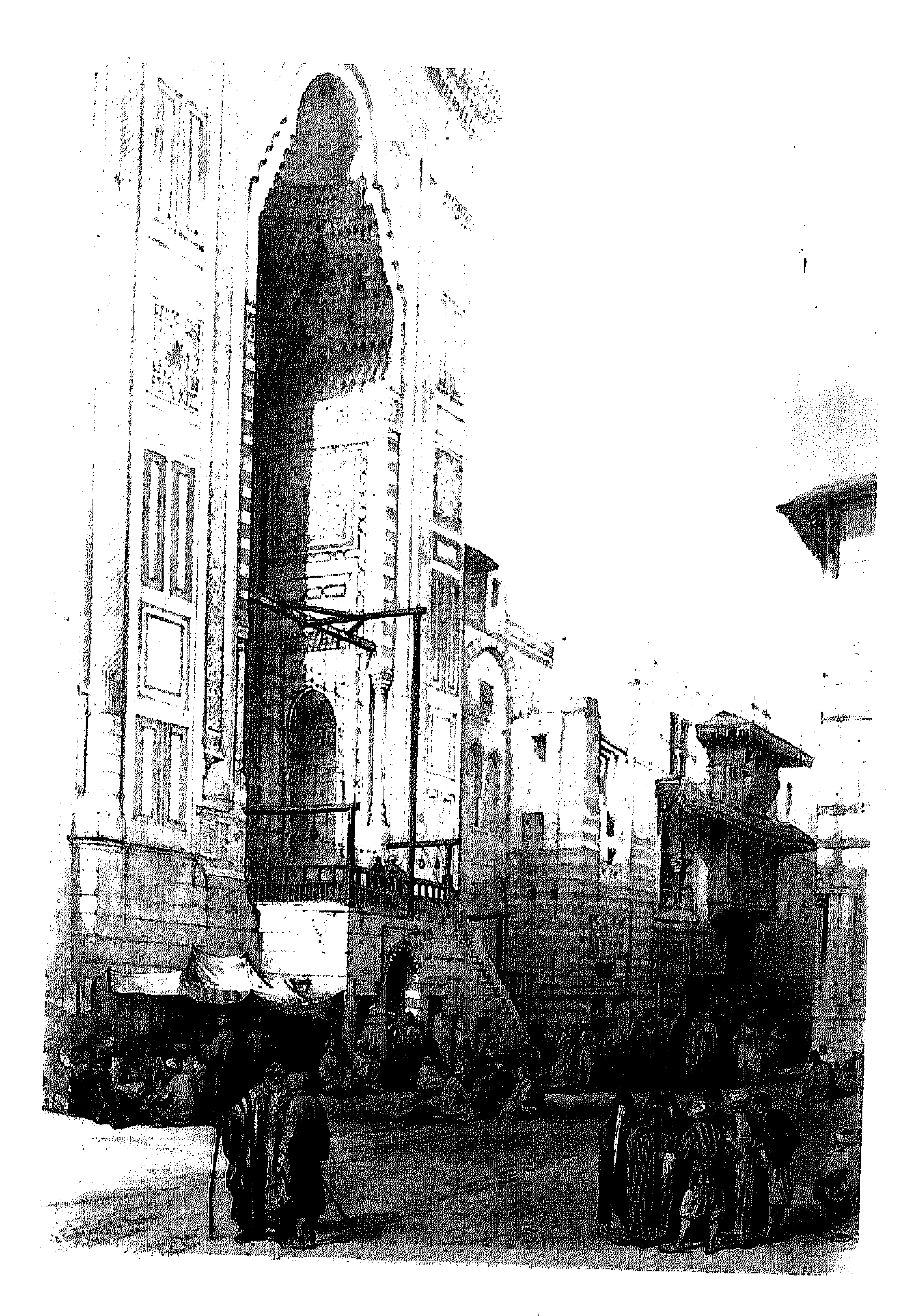
8 Thompson J. et Wrigt B,: La Vie et L, oeuvre D,Eugene Fromentin, Paris, 1987

٩ـــ د٠ اوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة السلطة الإنشاء، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٠٠

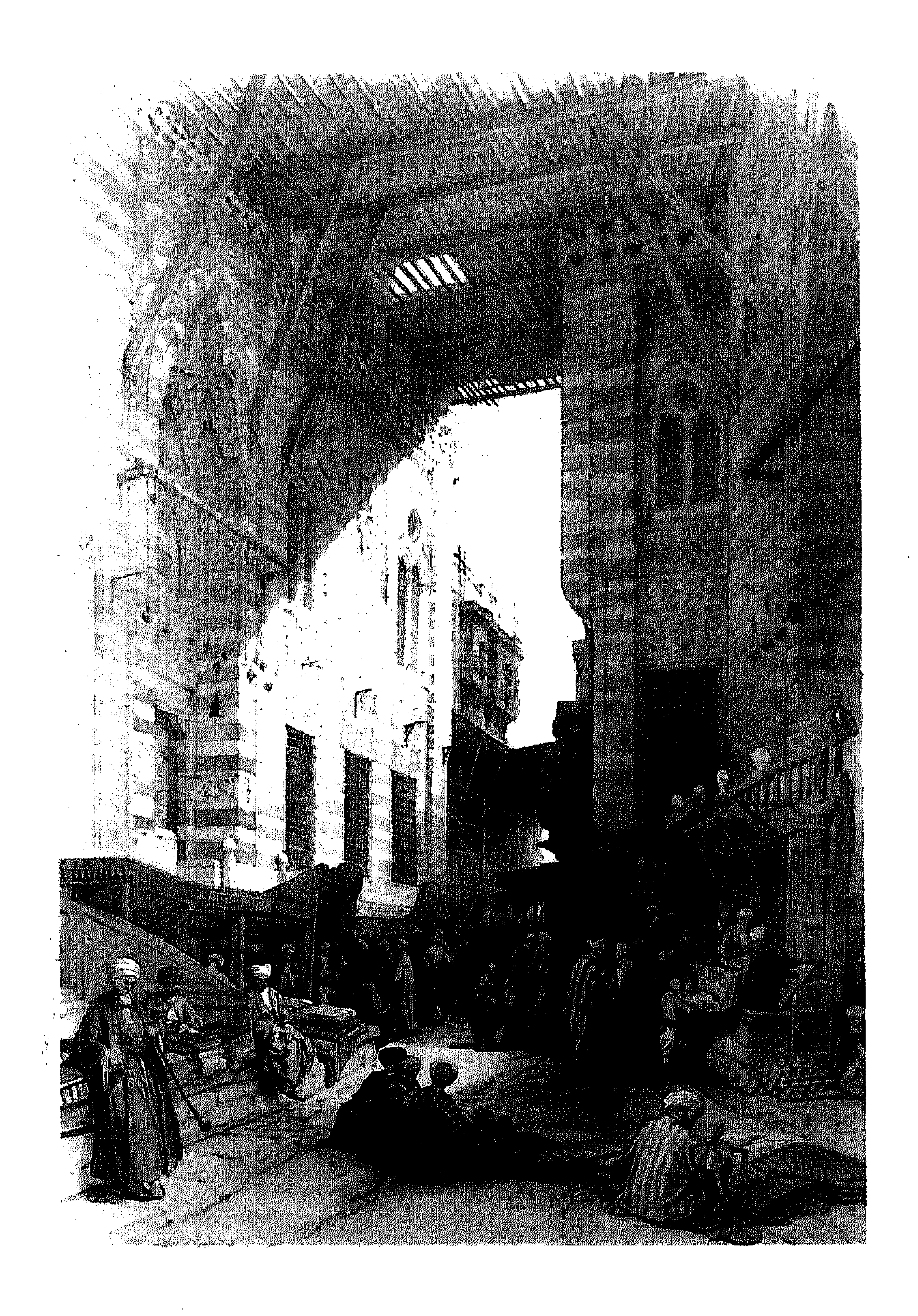
١٠ـ د٠ زينات بيطار: الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى، عالم المعرفة ١٥٧، ١٩٩٢٠



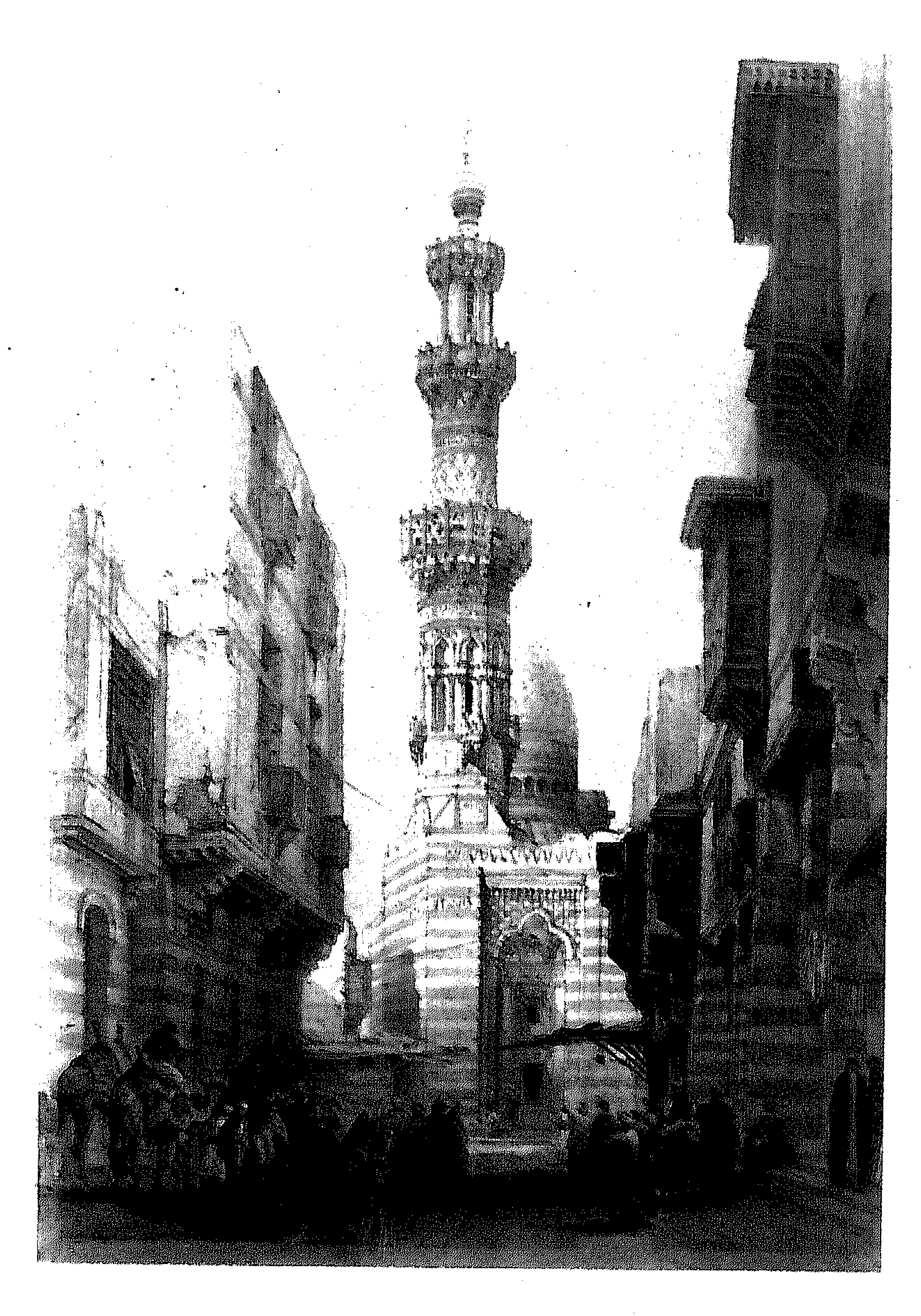
دافيد روبرتس: باب زويلة ومنارتا جامع المؤيد شيخ



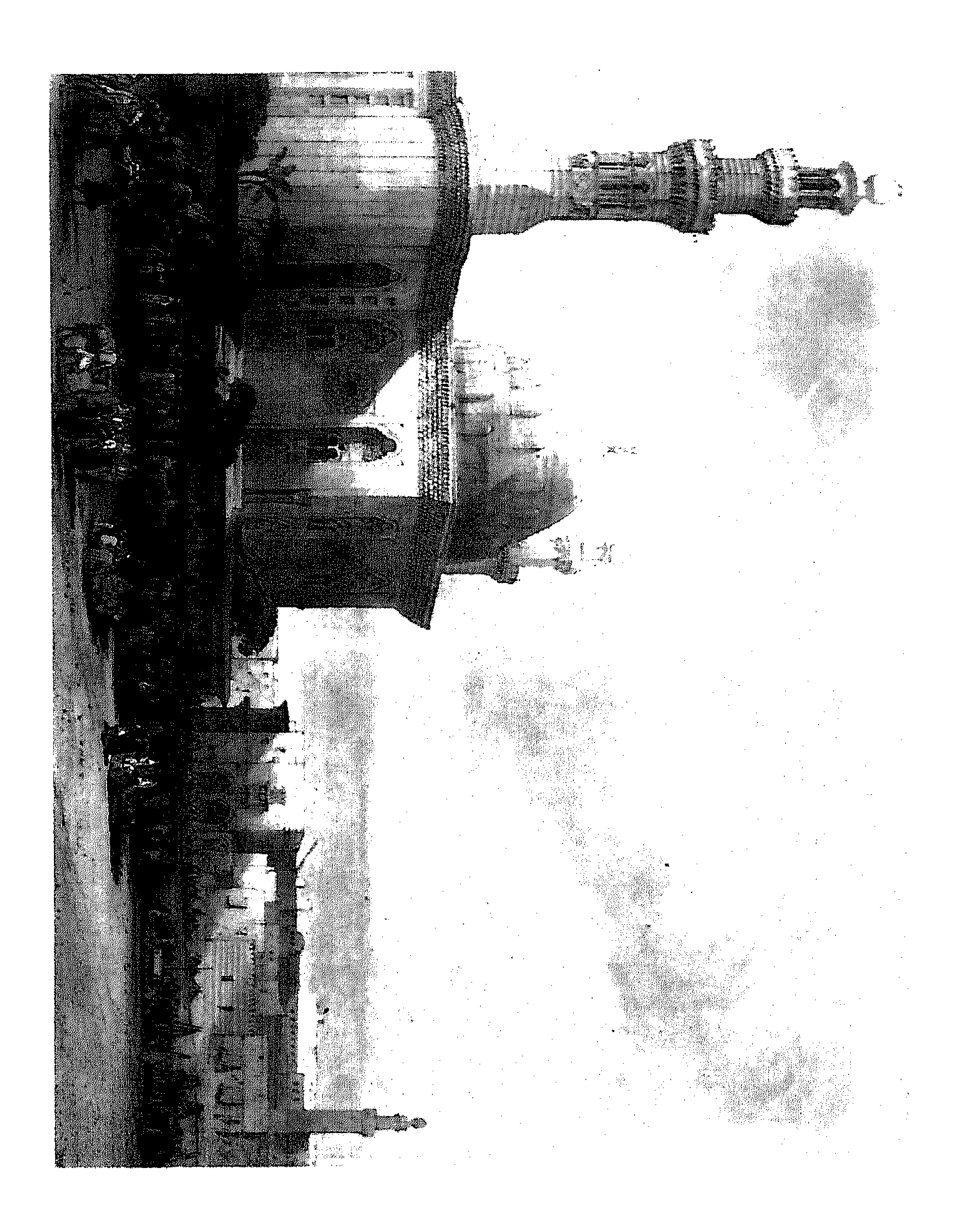
دافيد روبرتس: المدخل الرئيسى لجامع السلطان حسن

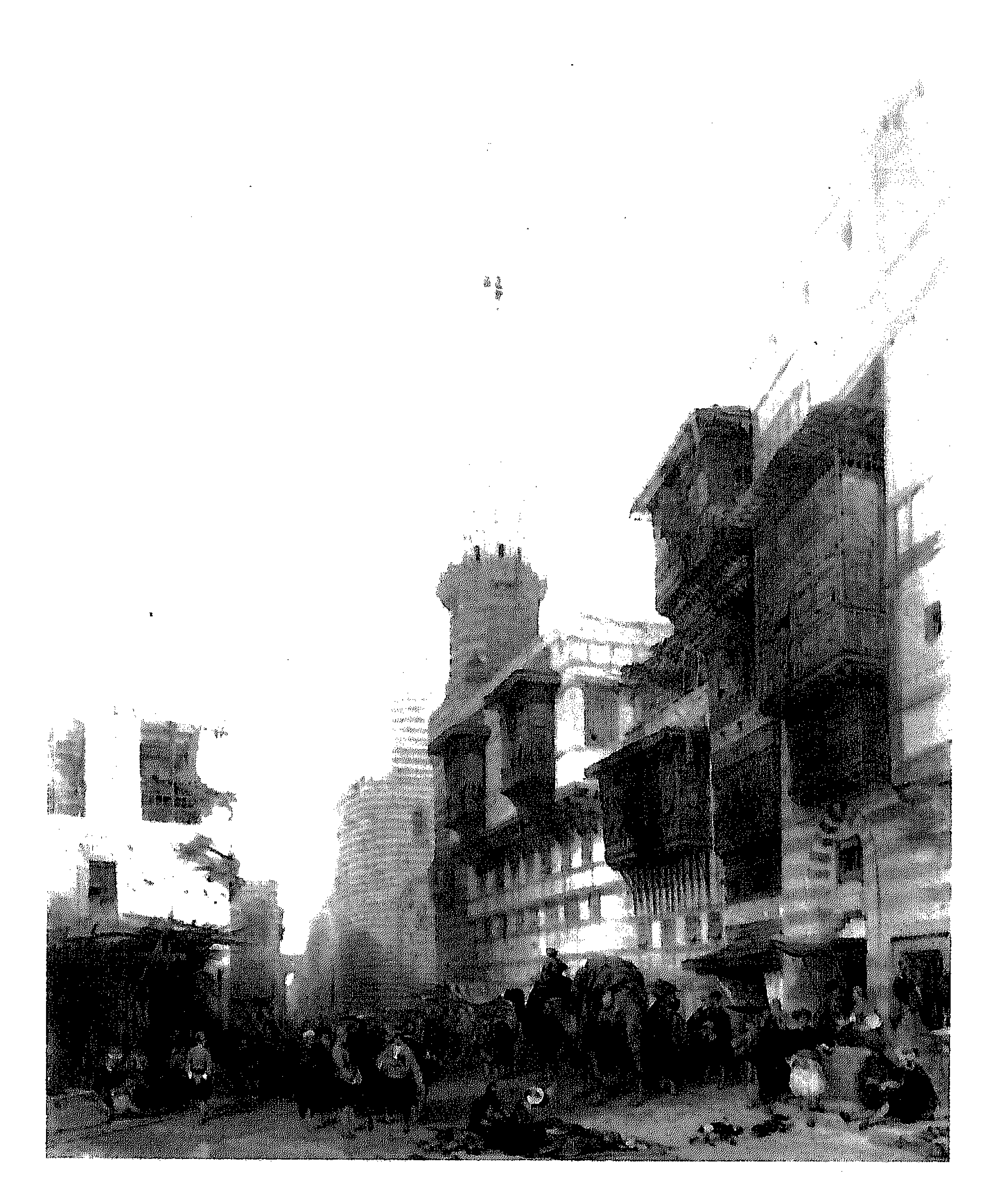


دافيد روبرتس: سوق الحرير بالغورية وجانب من قبة وجامع السلطان الغورى

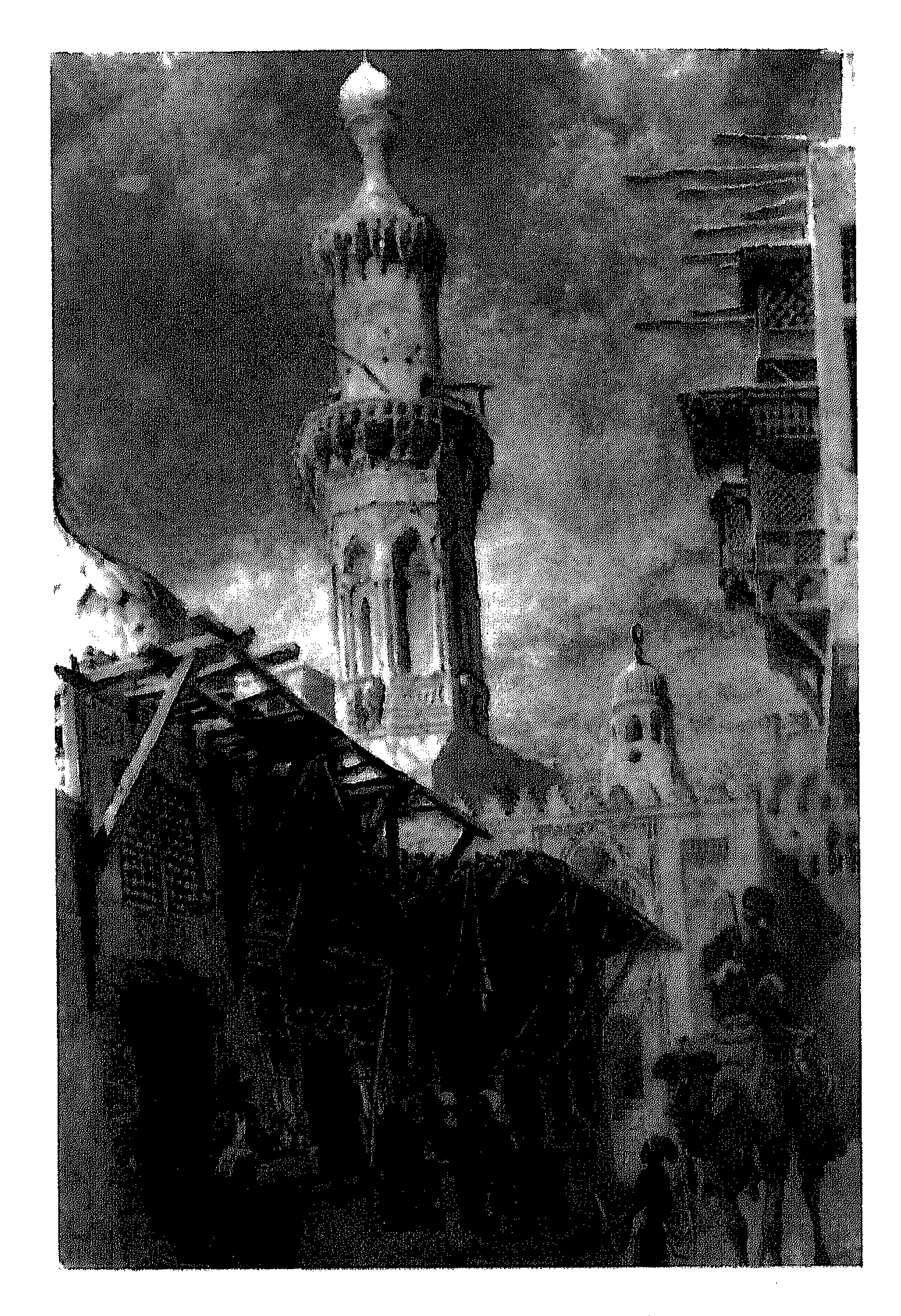


دافيد روبرتس: واجهة مسجد أبى العلاء بحى بولاق





دافيد روبرتس: بالقرب من باب زويلة ومنارتى المؤيد شيخ



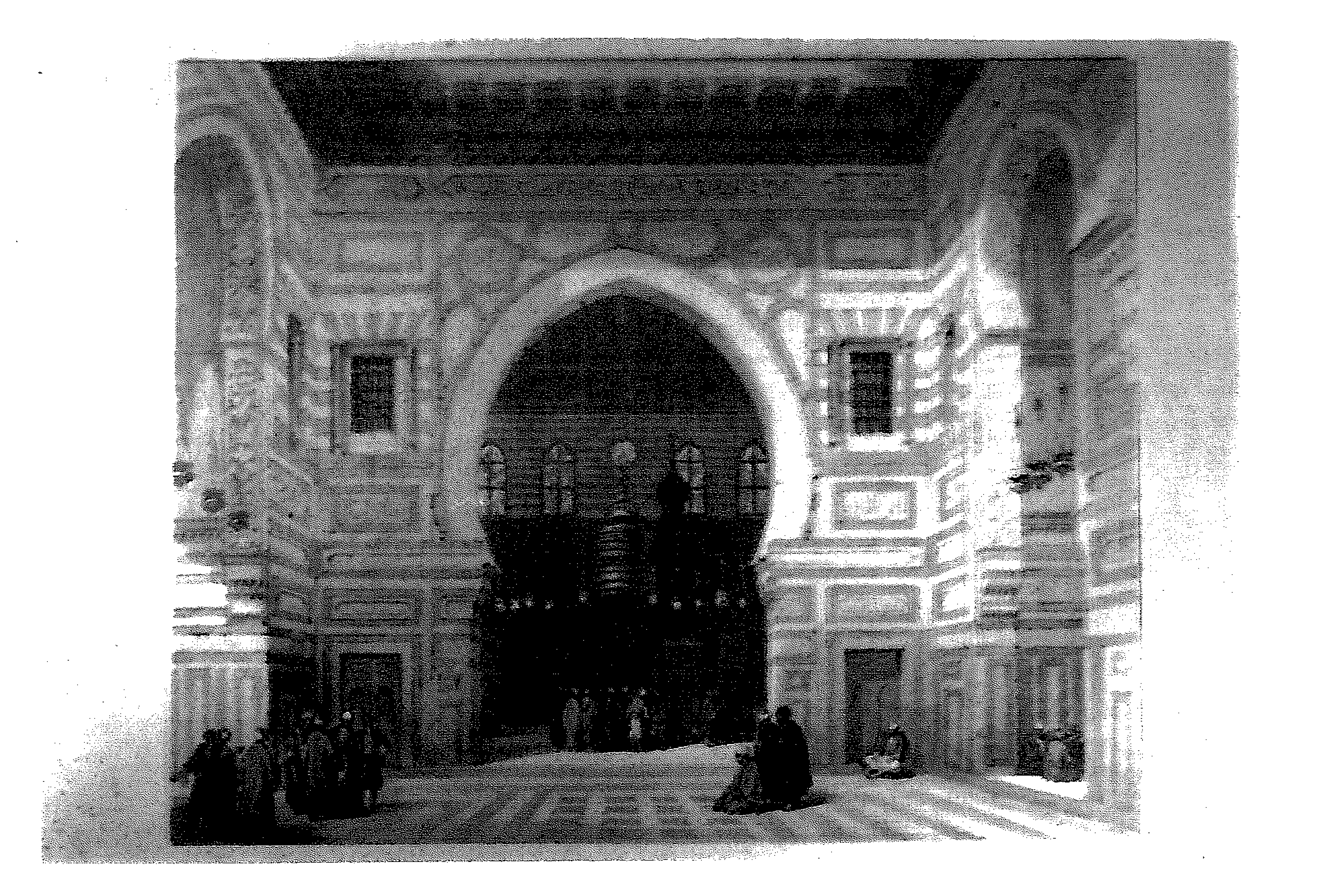
كارل هاج: جامع الغورى بالقاهرة



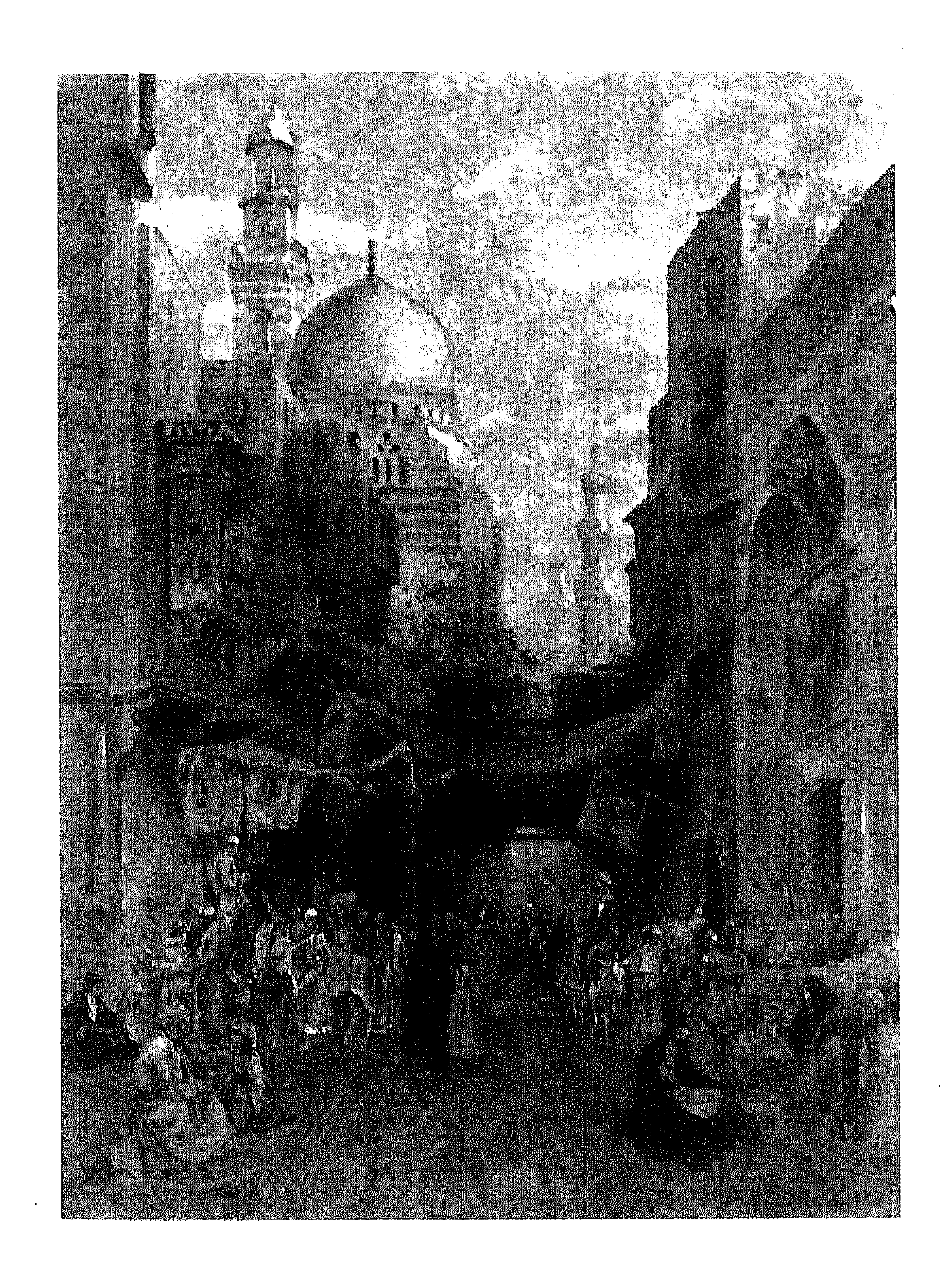
دافيد روبرتس: باب النصر وجامع الحاكم بأمر الله



لودفيج دويتش، جامعة الأزهر



دافيد روبرتس: داخل جامع السلطان المؤيد





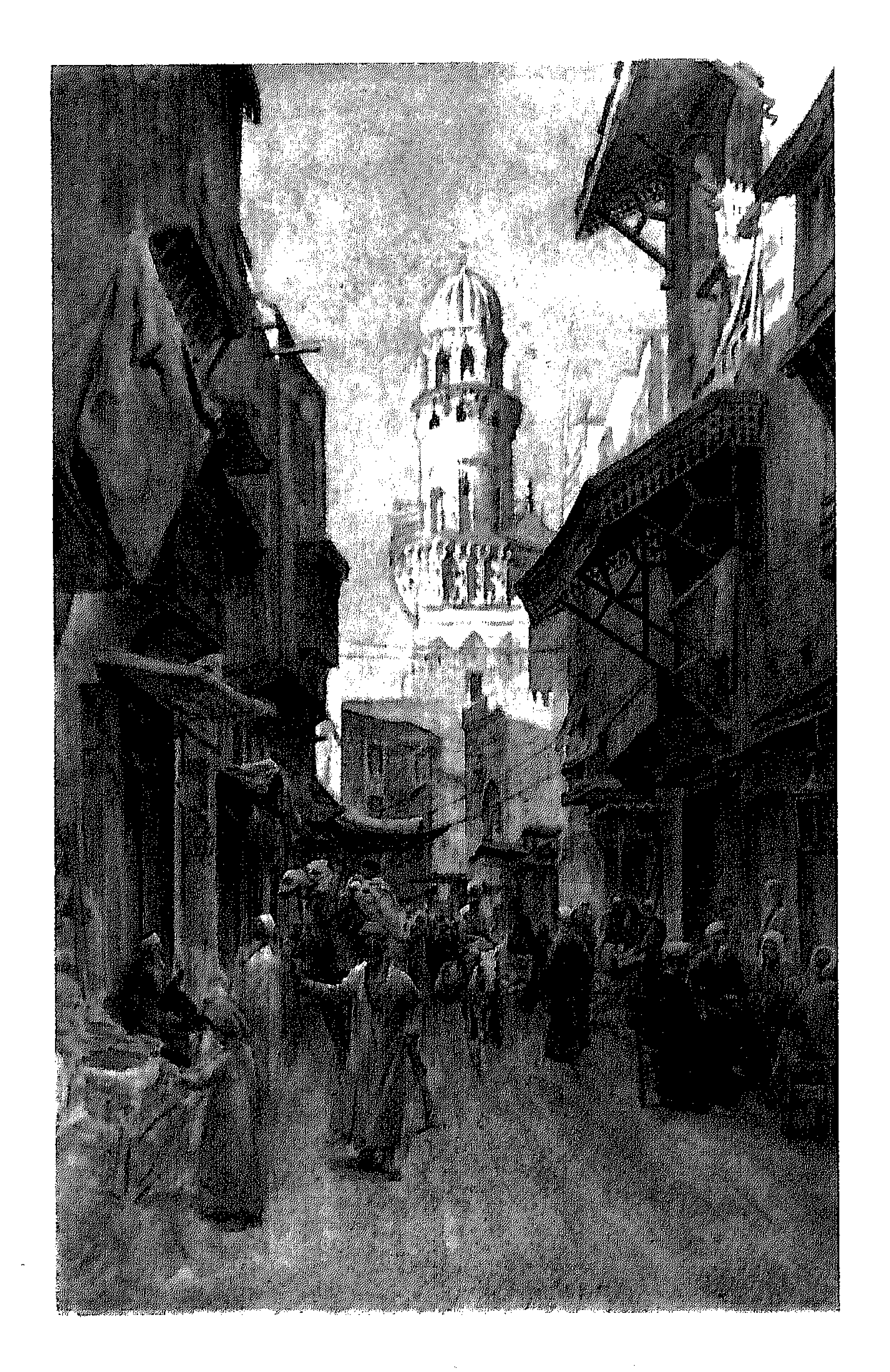
جابرييل كاريللى: مشهد من شارع بالقاهرة



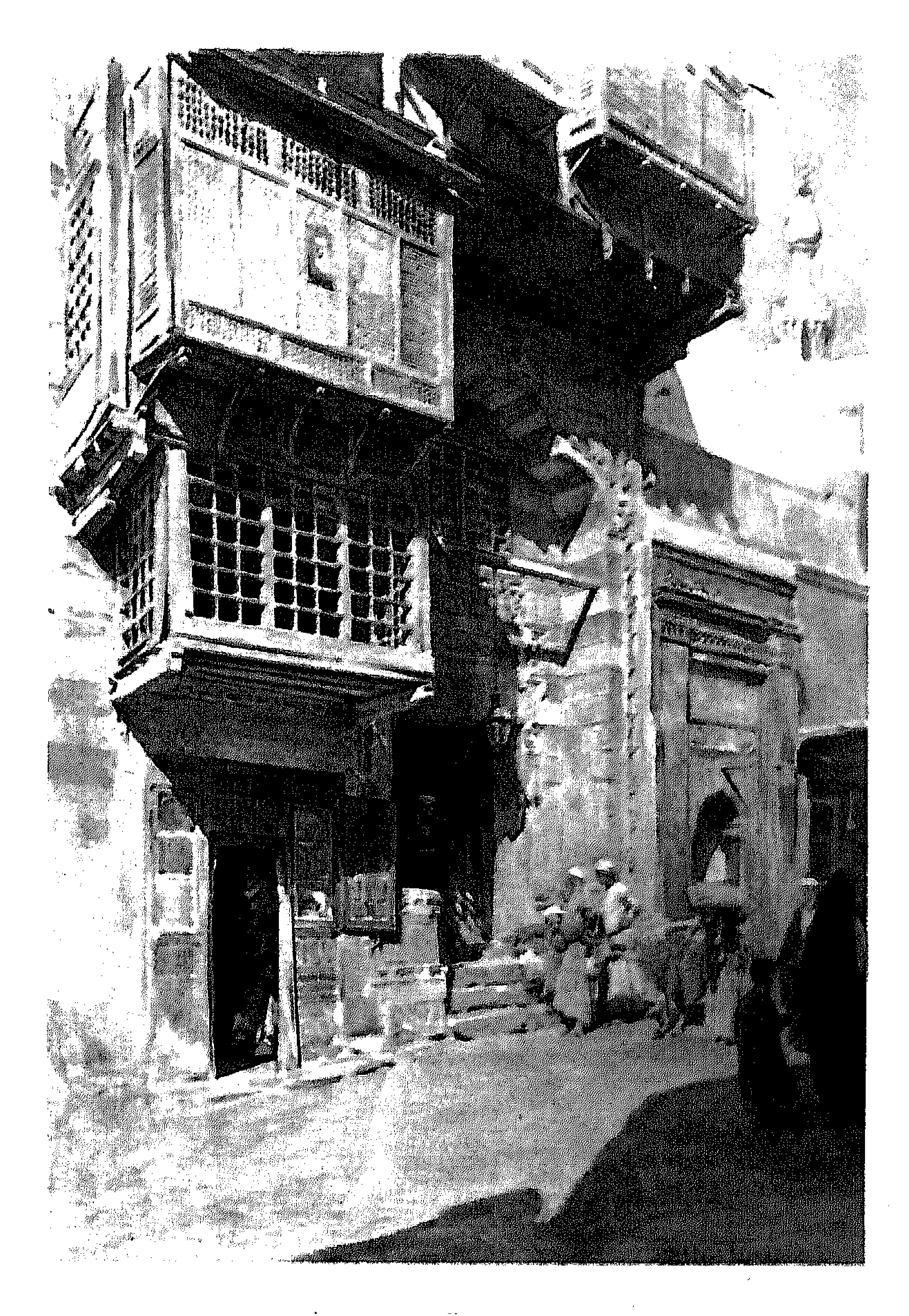
والترتيندال: شارع بالقرب من قلعة القاهرة



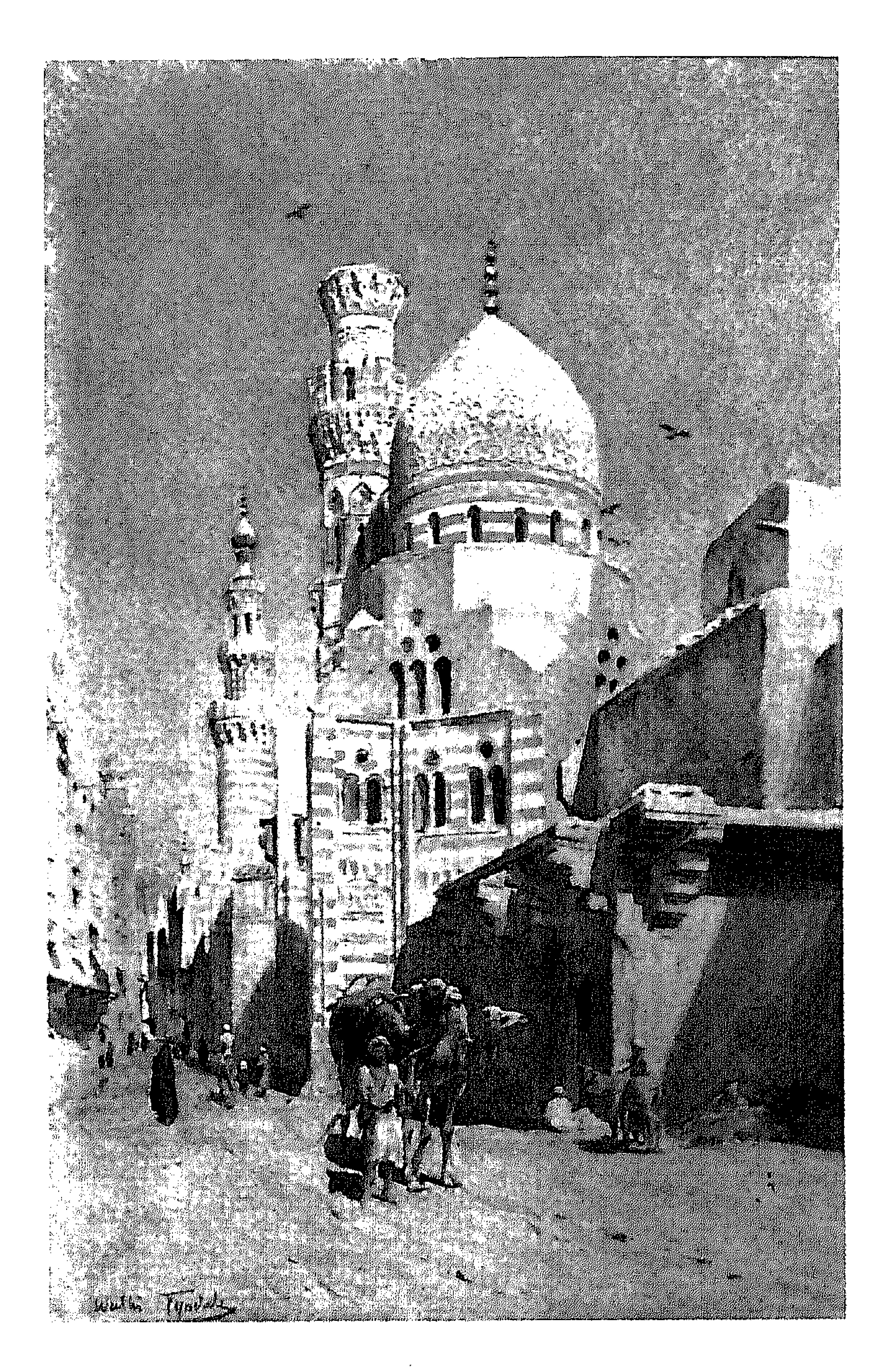
والتر تيندال : درب الجماميز بالقاهرة



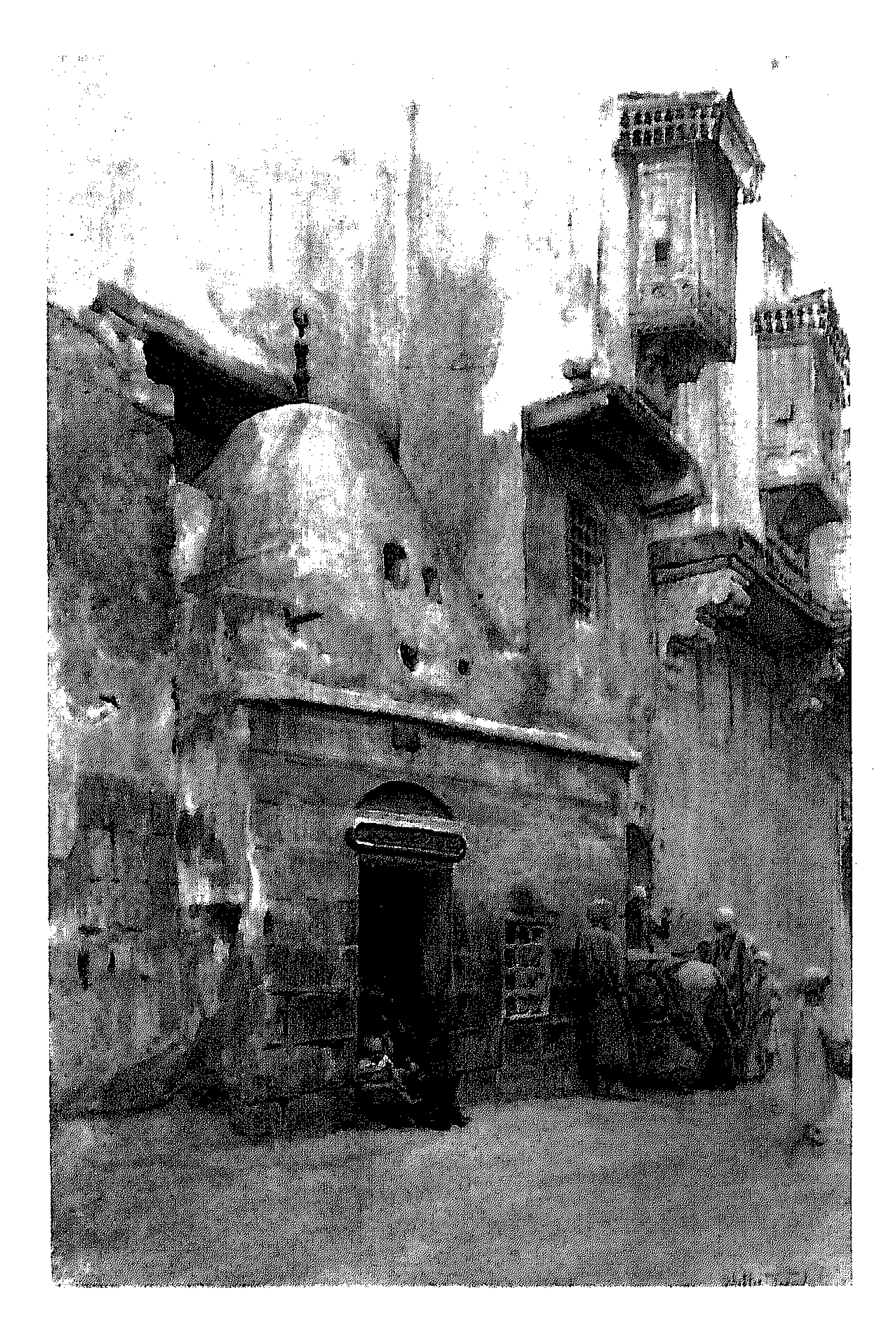
والترتيندال : مشهد من الجمالية



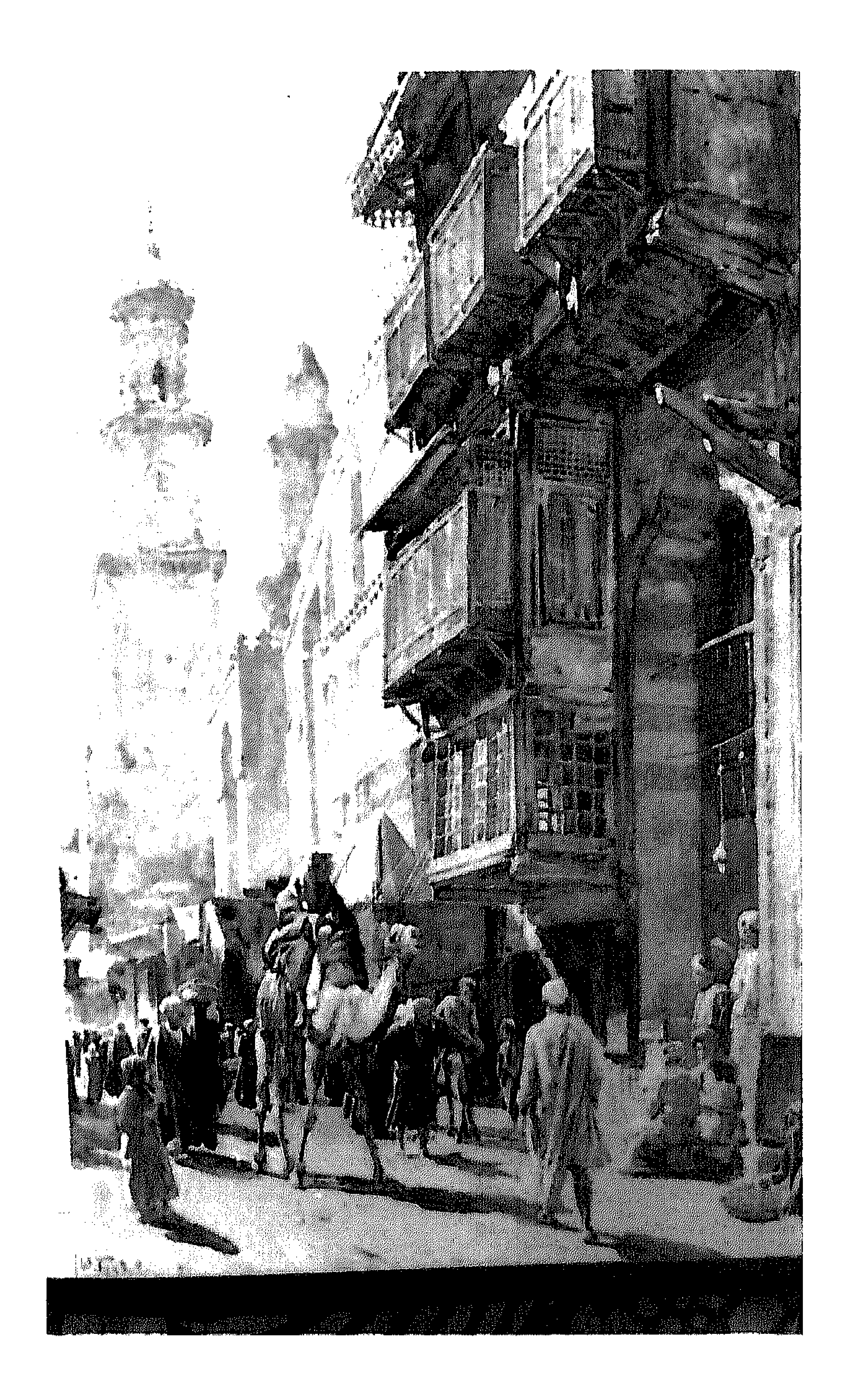
والترتينديال : مشهد من شارع النحاسين



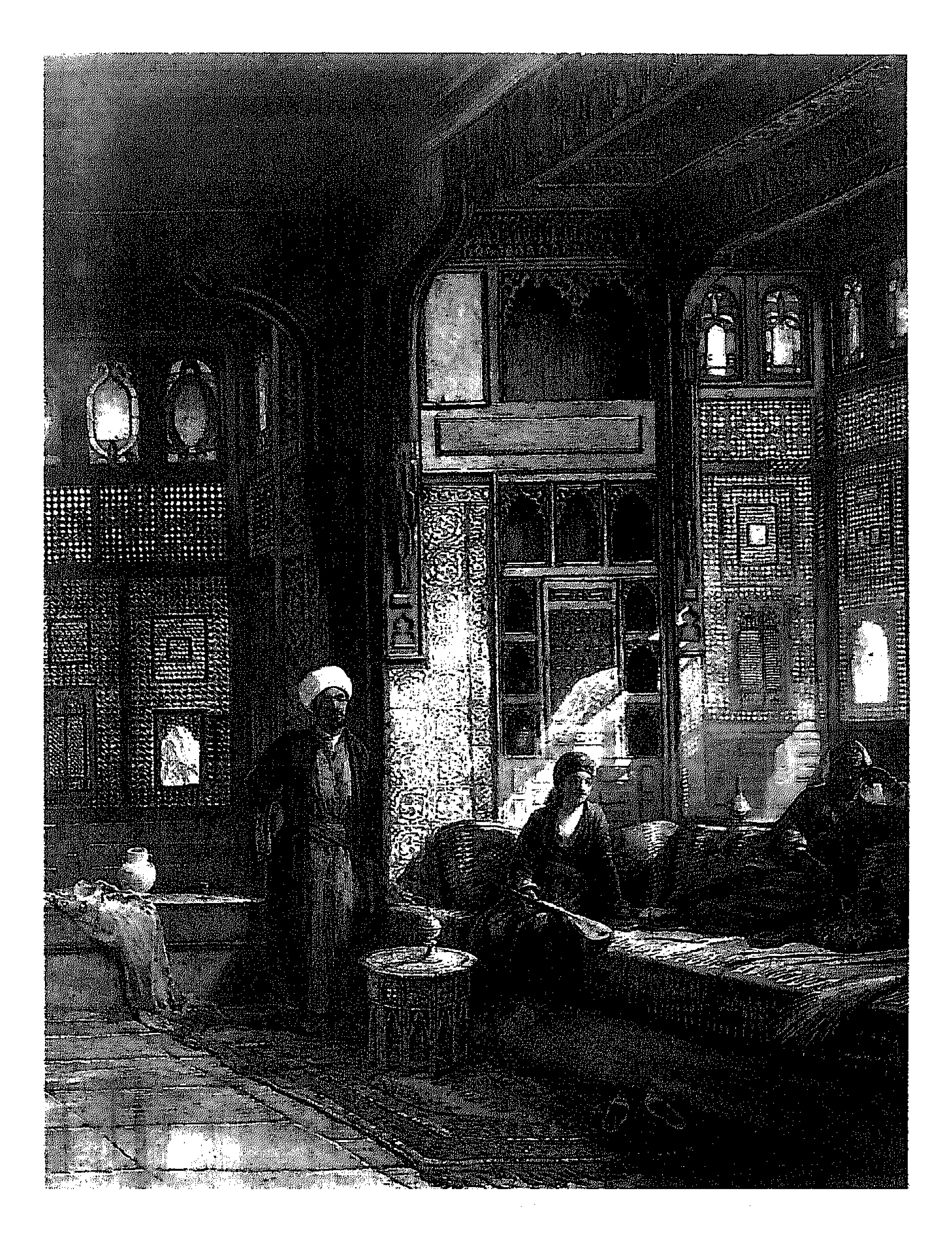
والتر تيندال : ضريح ومسجد أربوغان بالقاهرة



والتر تيندال : ضريح شيخ بالقاهرة



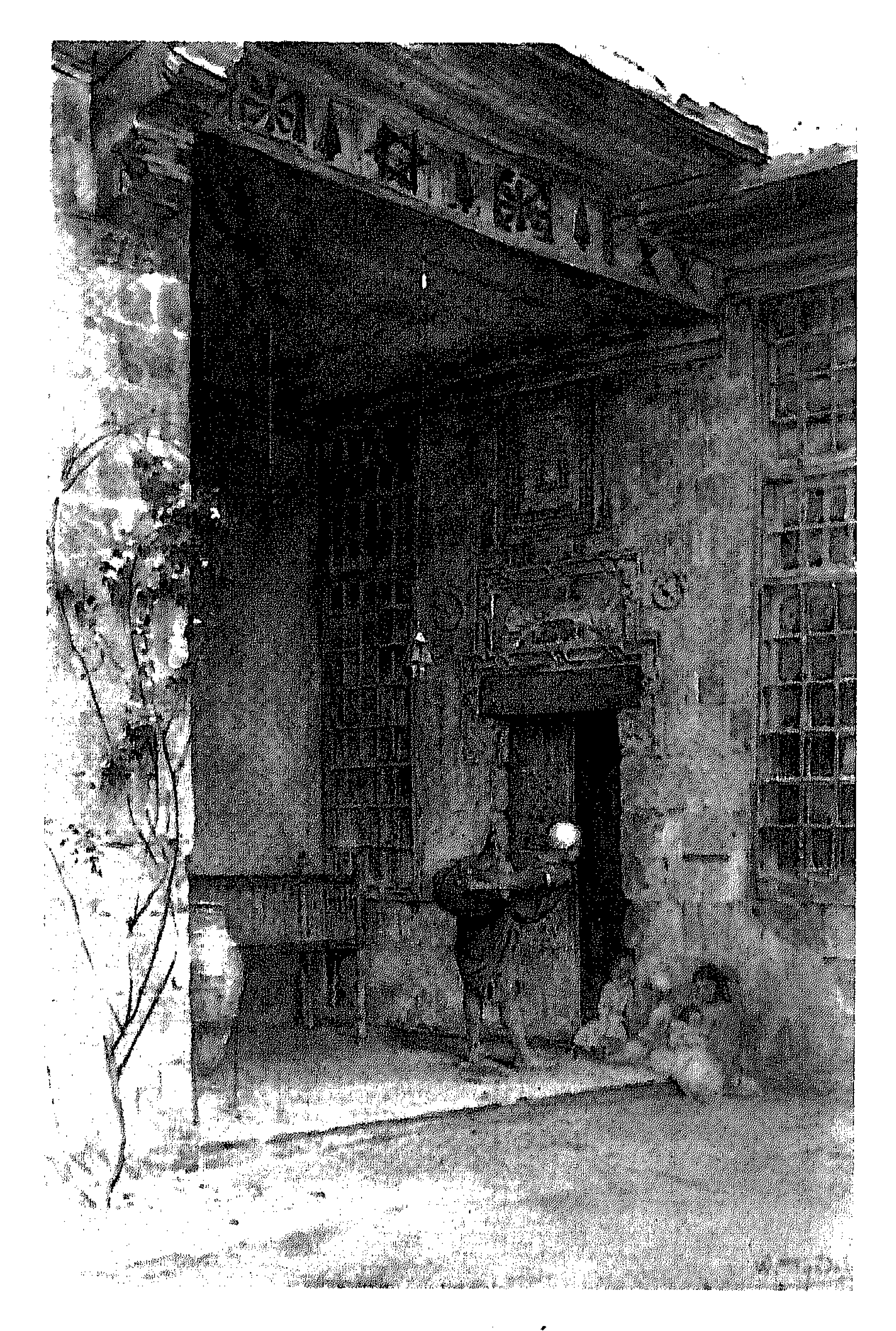
والتر تيندال :شارع بالجمالية



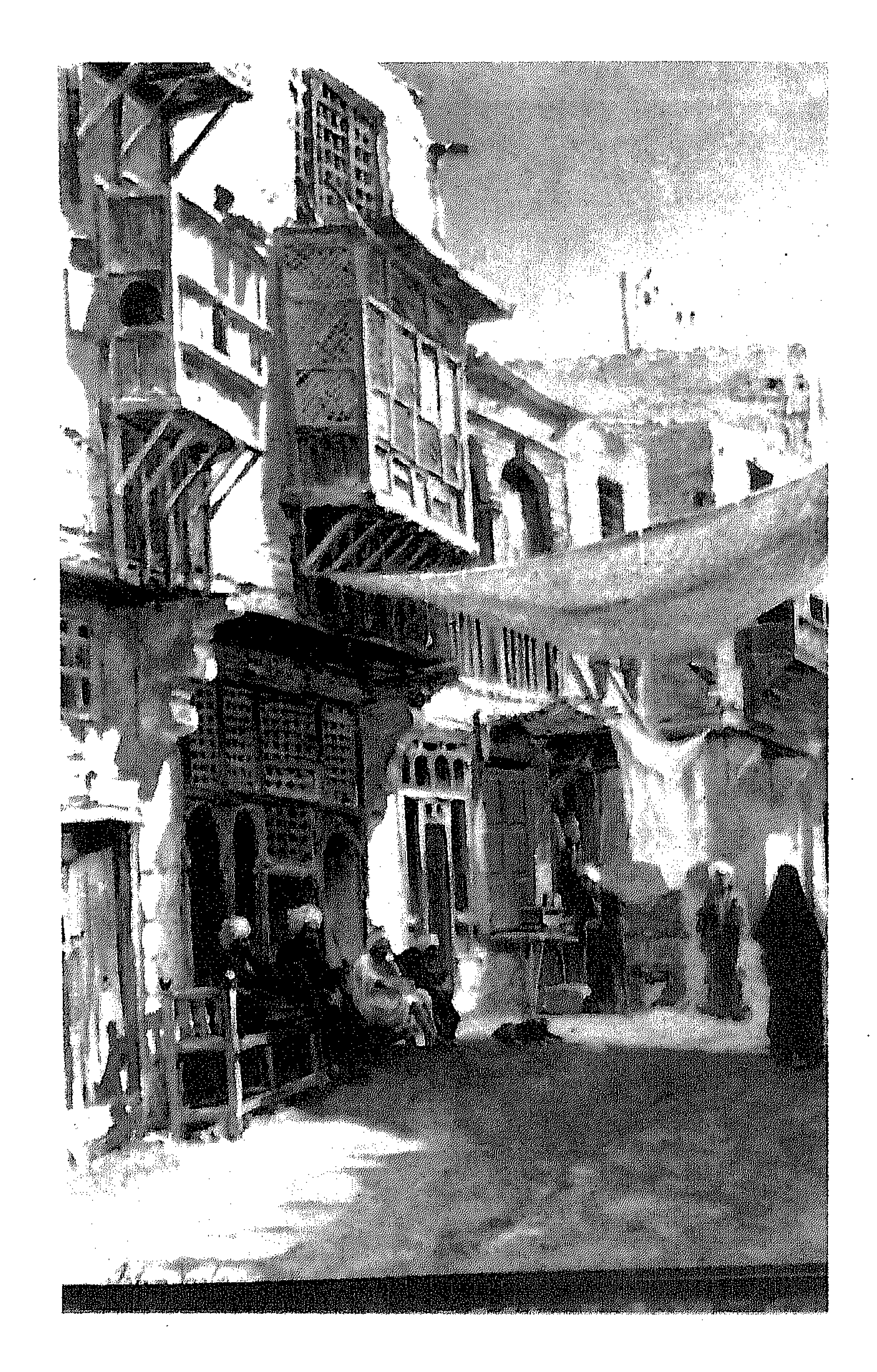
فرانك ديلون: قاعة حريم الشيخ السادات



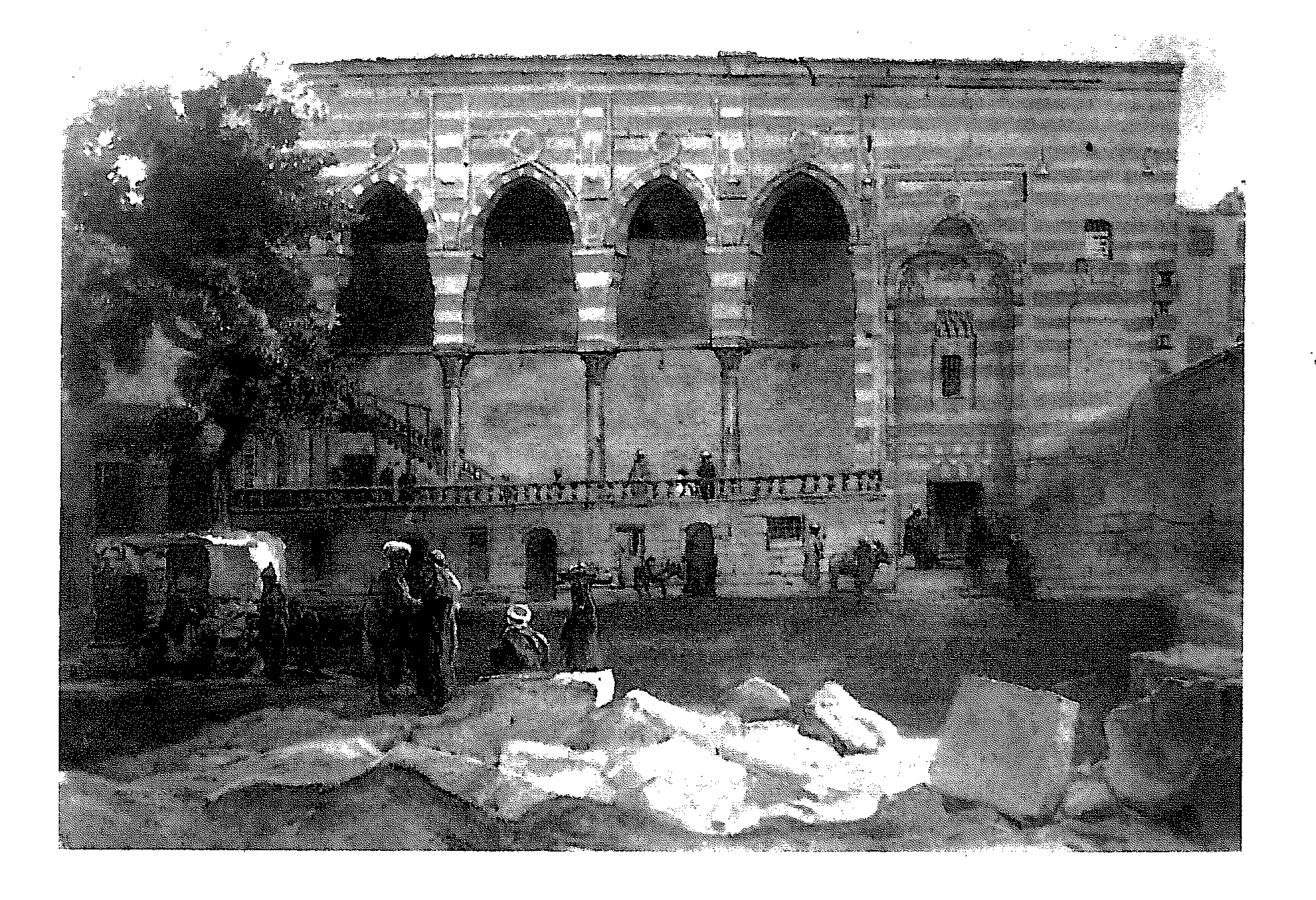
دافيد روبرتس: سوق النحاسين بالقاهرة.



والترتيندال : فناء منزل بالقاهرة



والترتيندال: شارع بالقاهرة



فرانك ديلون: المحكمة ـ بيت القاضى



چيوسيبى انچيليلى : اللوحة الشهيرة لأعضاء البعثة الفرنسية – التوسكانية يتوسطها شامبليون بالزى الشرقى



فردريك لويس: كاتب الرسائل

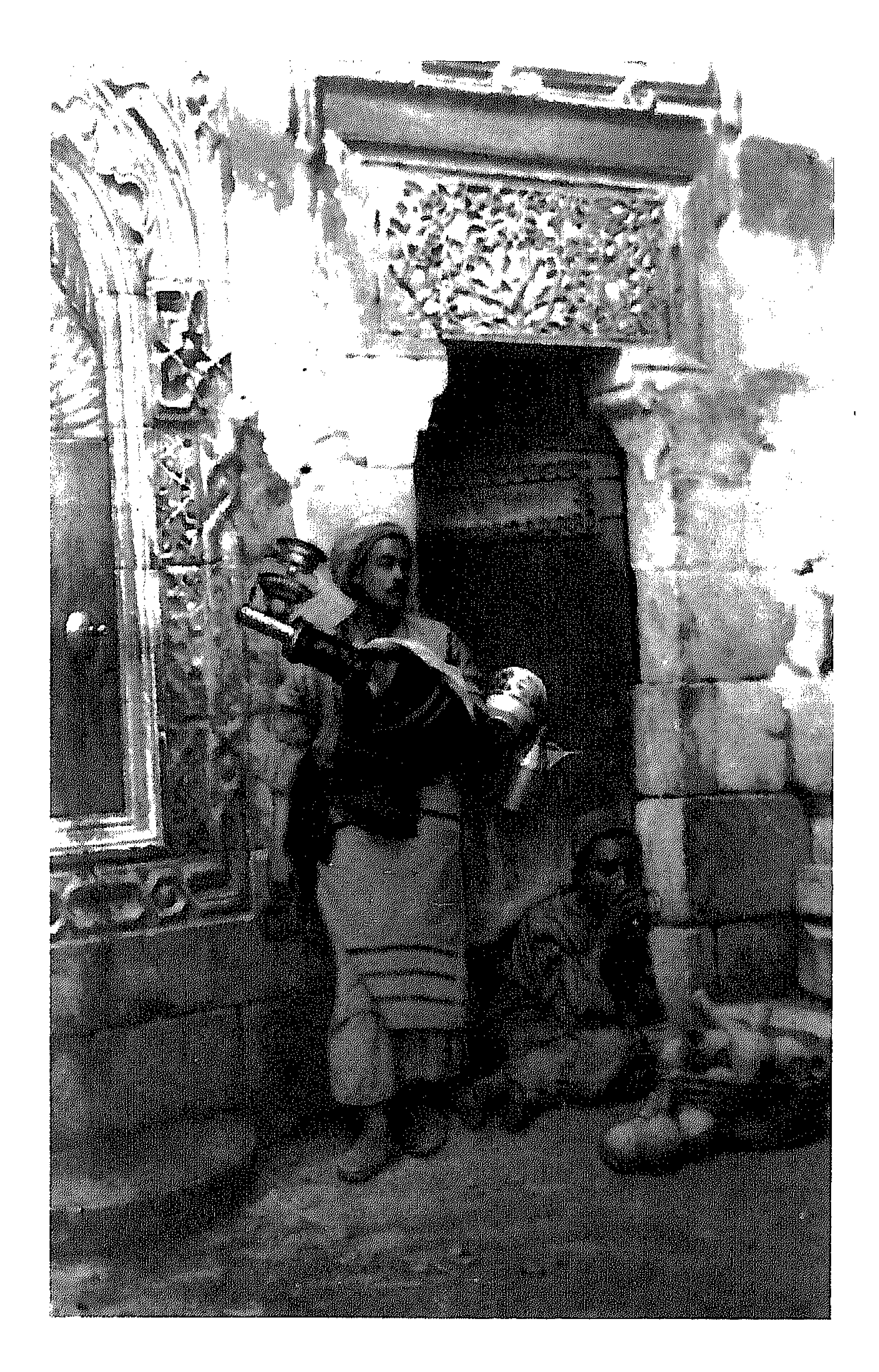


رود.ولف سفودا: رفا السجاد

جيل جوسيه : داخل مقهى



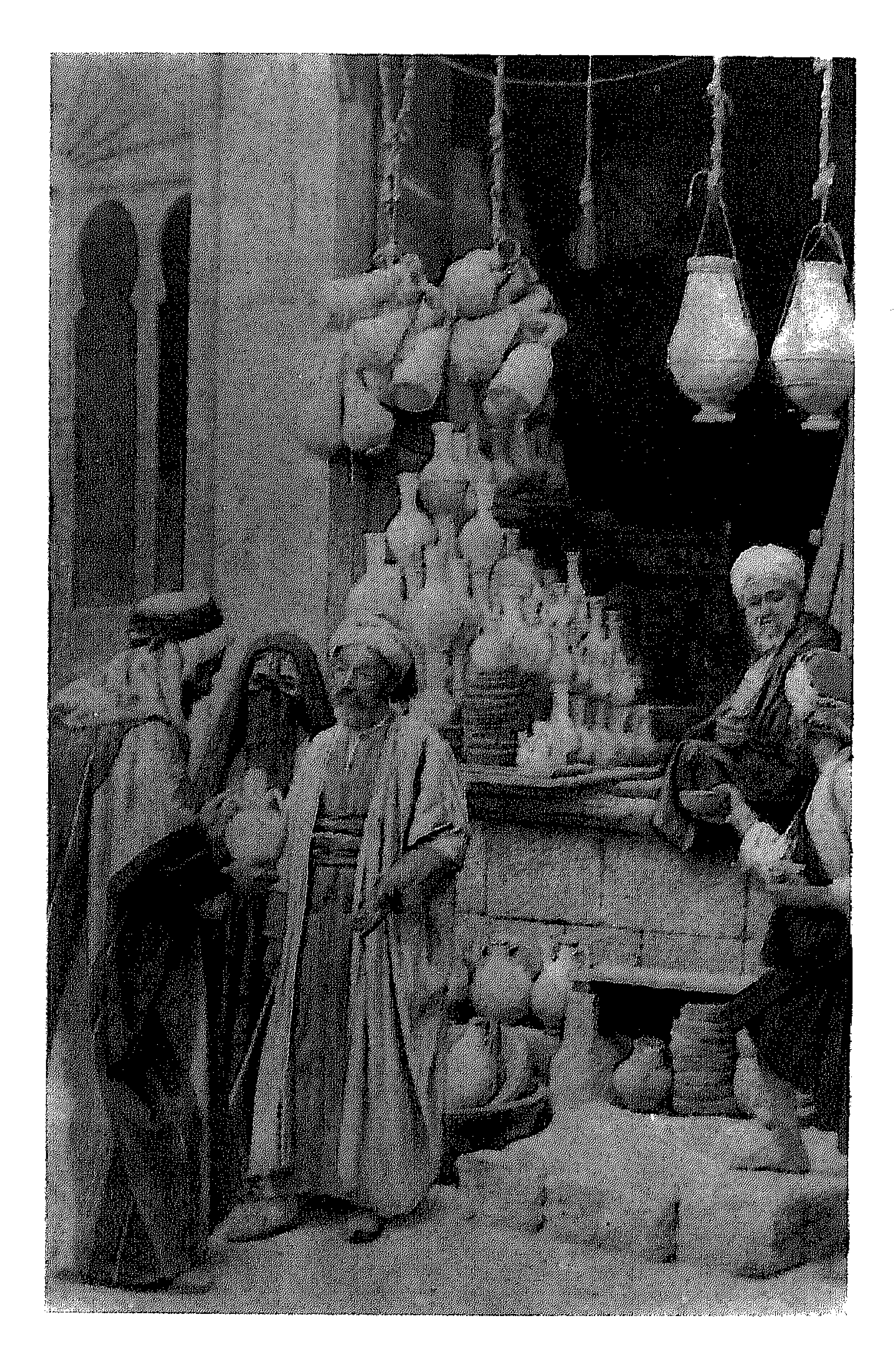
ج . ل. جيروم: امرأتان من الغوازى تلعبان الشطرنج فى مقهى بلدى



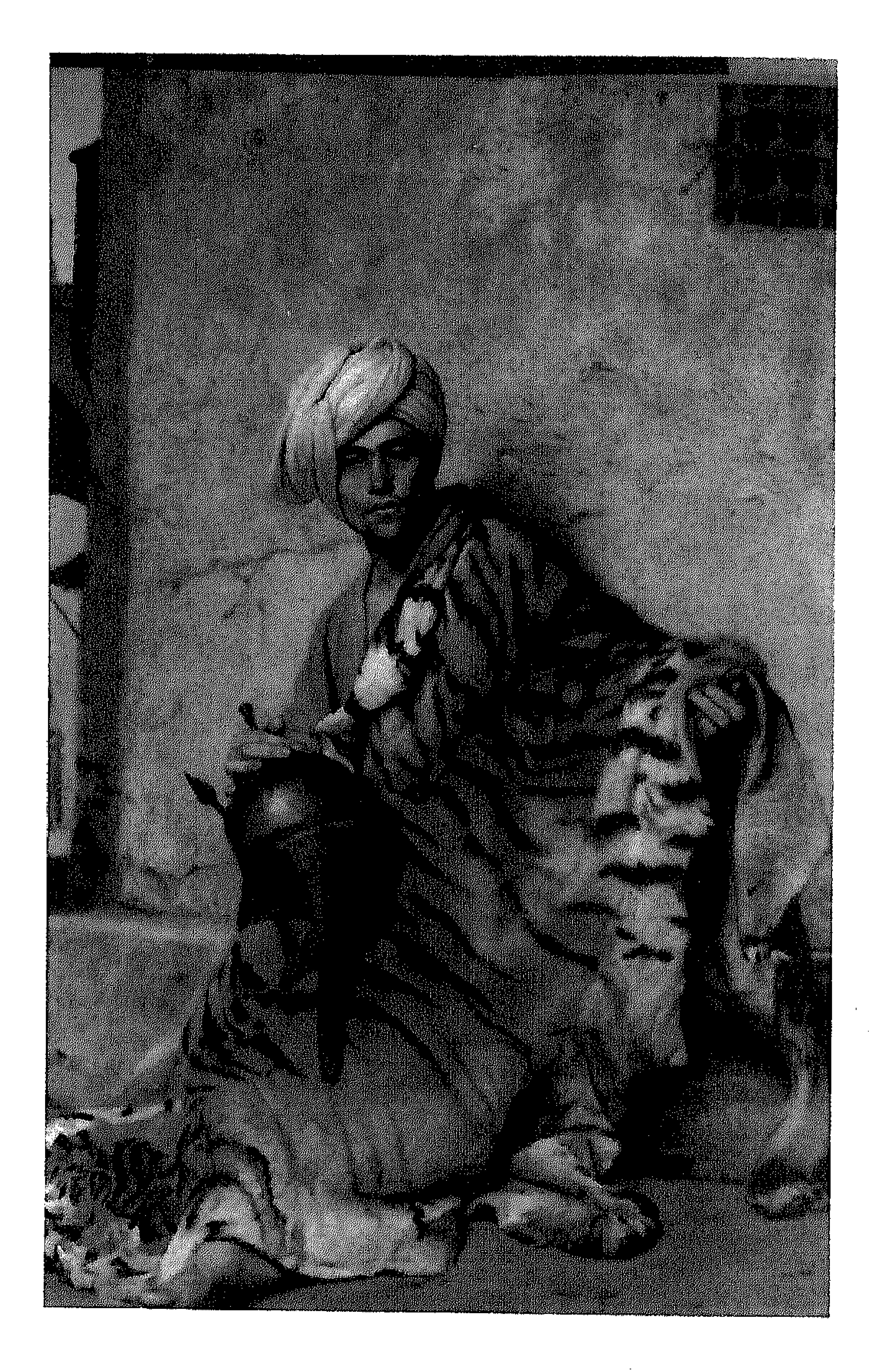
لودفيج دويتش: بائع العرقسوس



لودفيج دويتش: بائع الأثاث



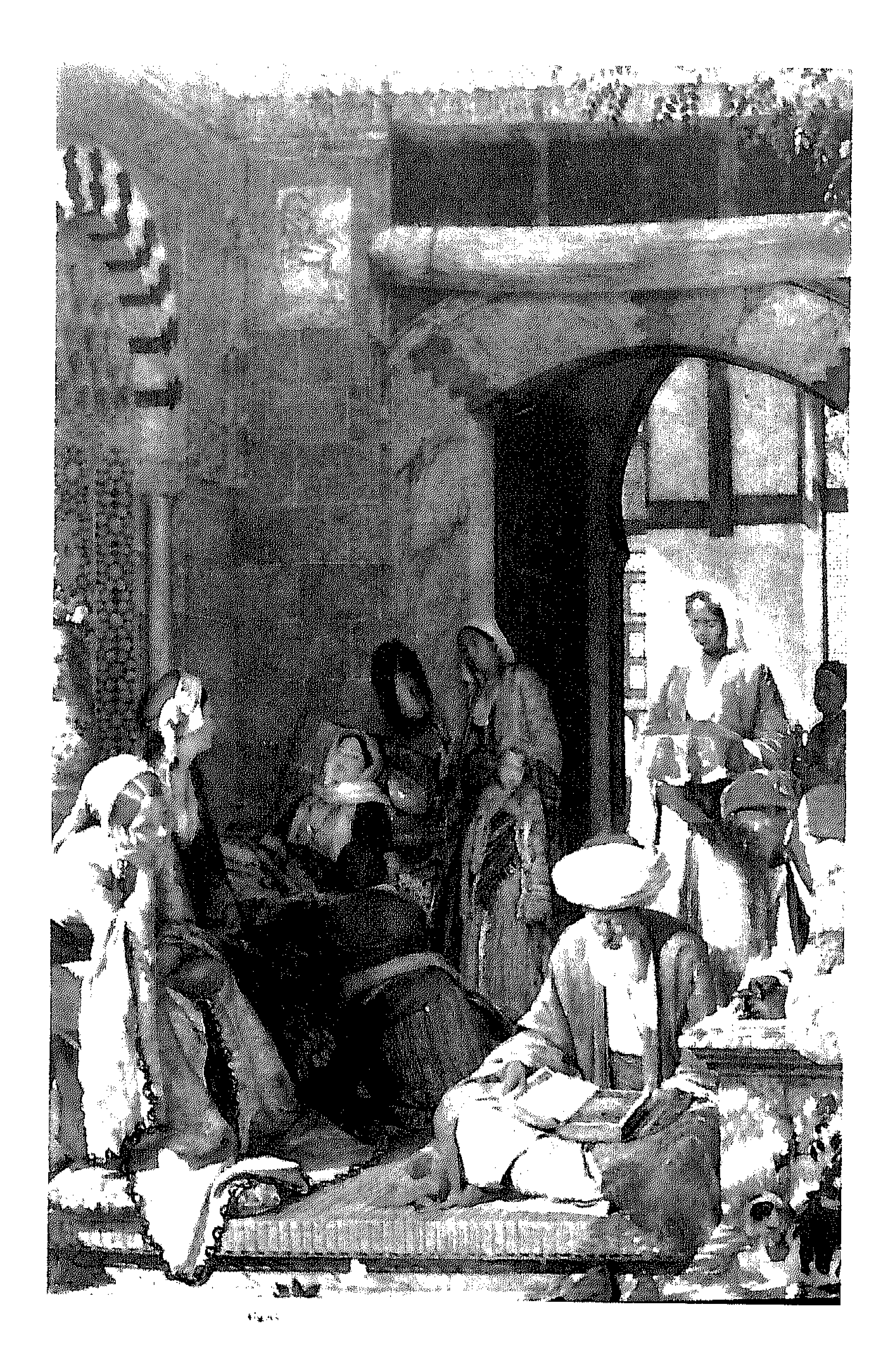
فيليبو بارتوليتى: بائع الأوانى الفخارية



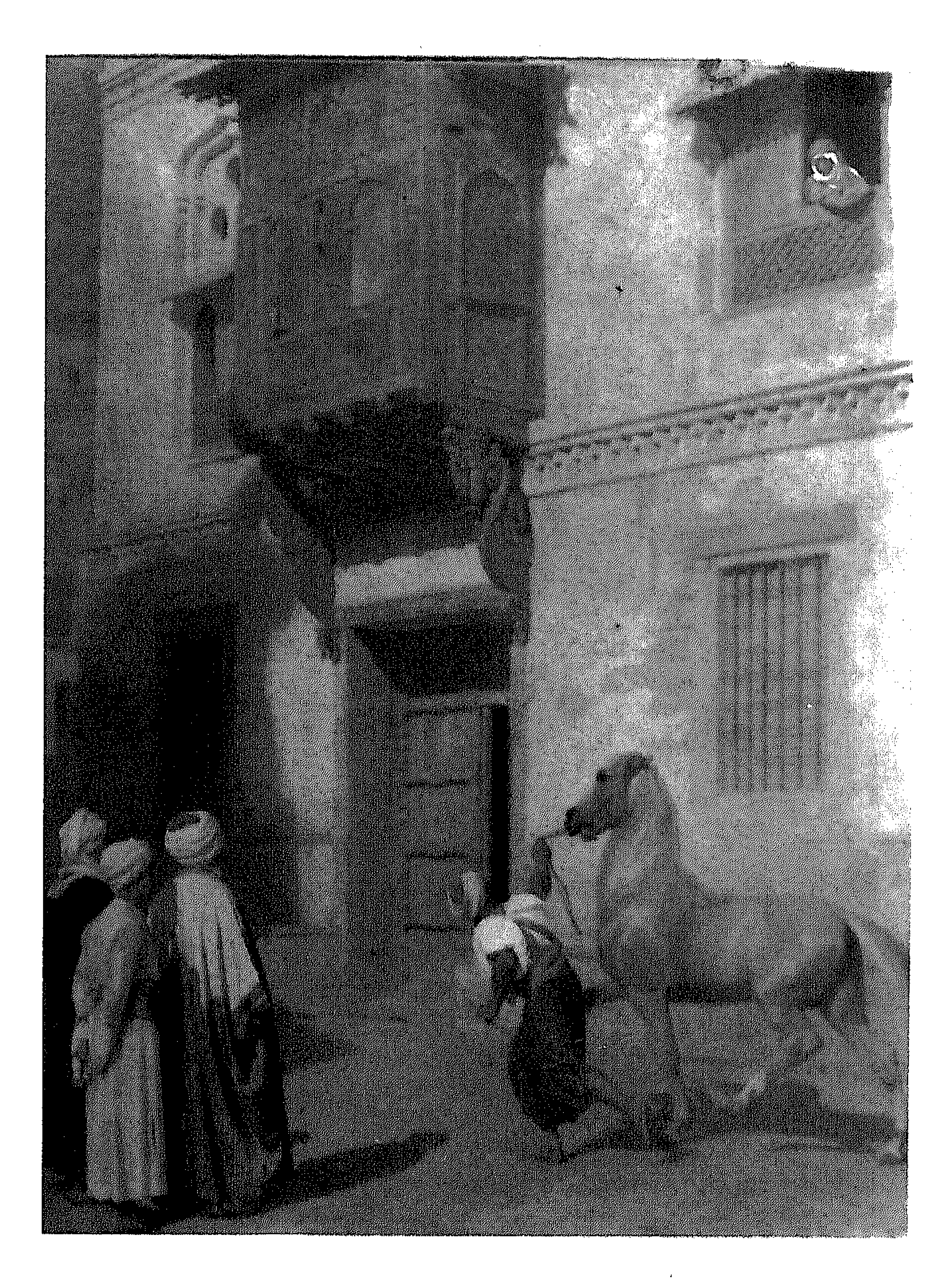
ج . ل. جيروم: جلد نمر للبيع



لودفيج دويتش: بائع الأسلحة



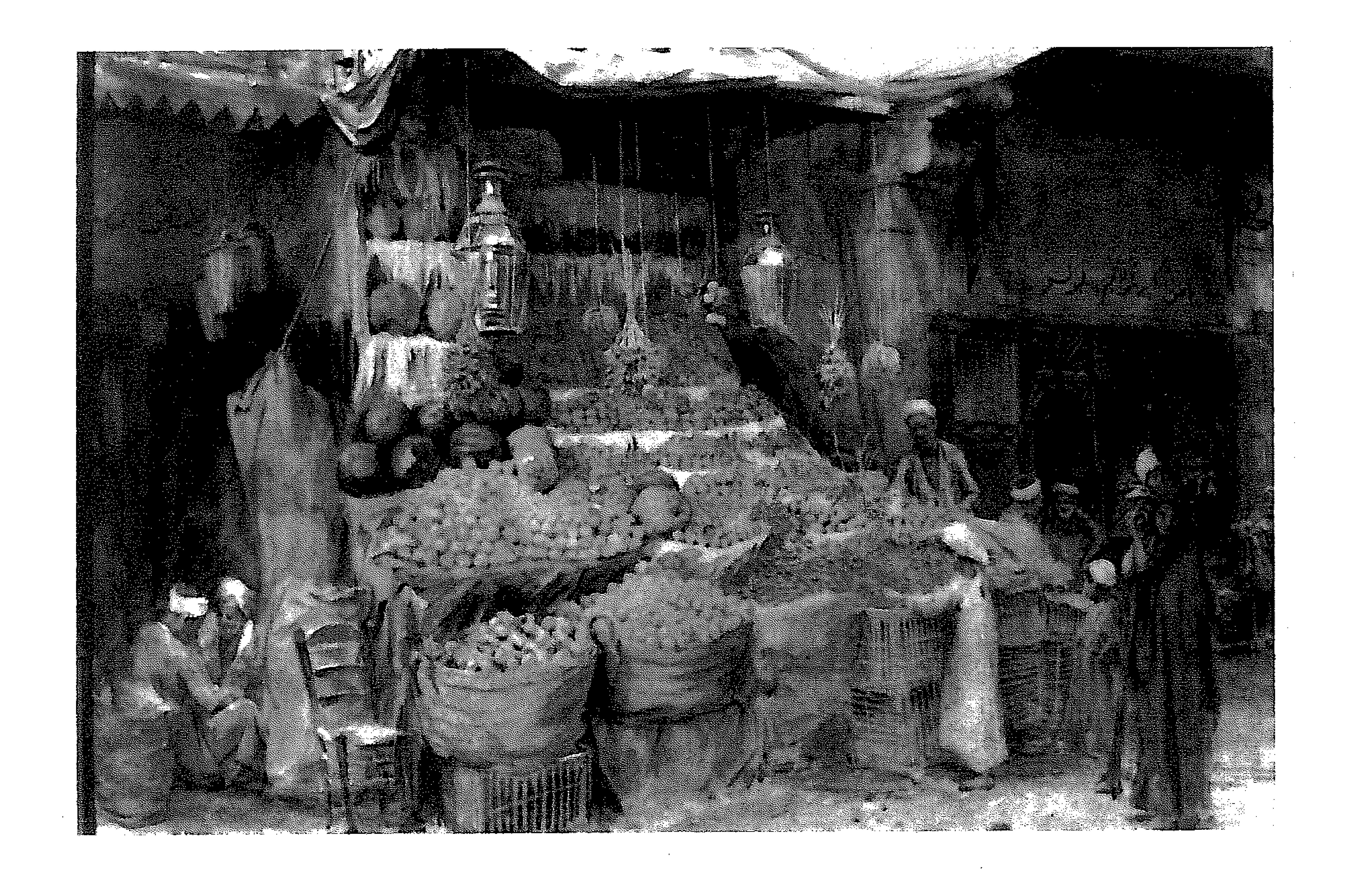
فردريك لويس : التداوى بالقرآن



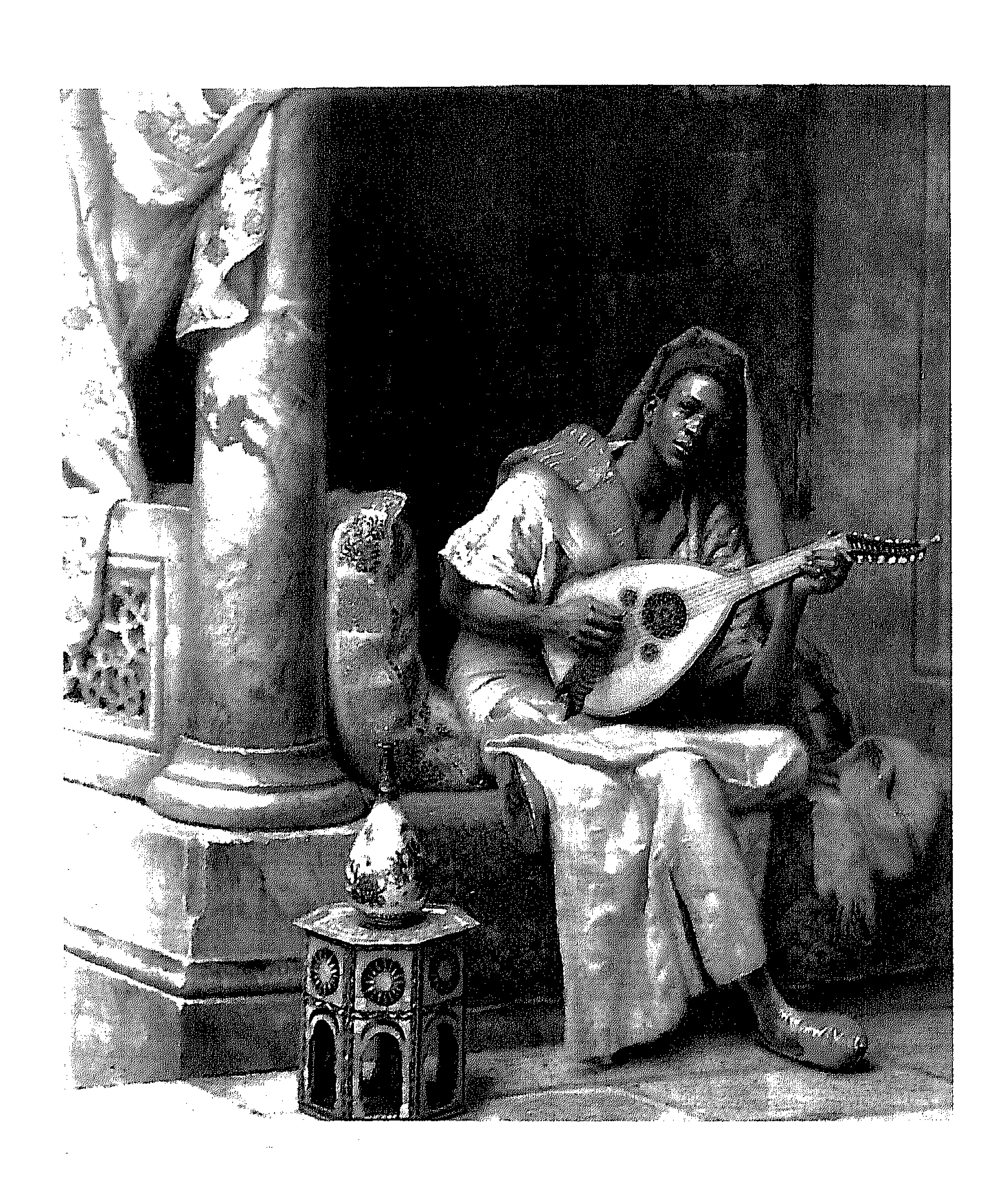
ج . ل. جيروم: مروض الحصان



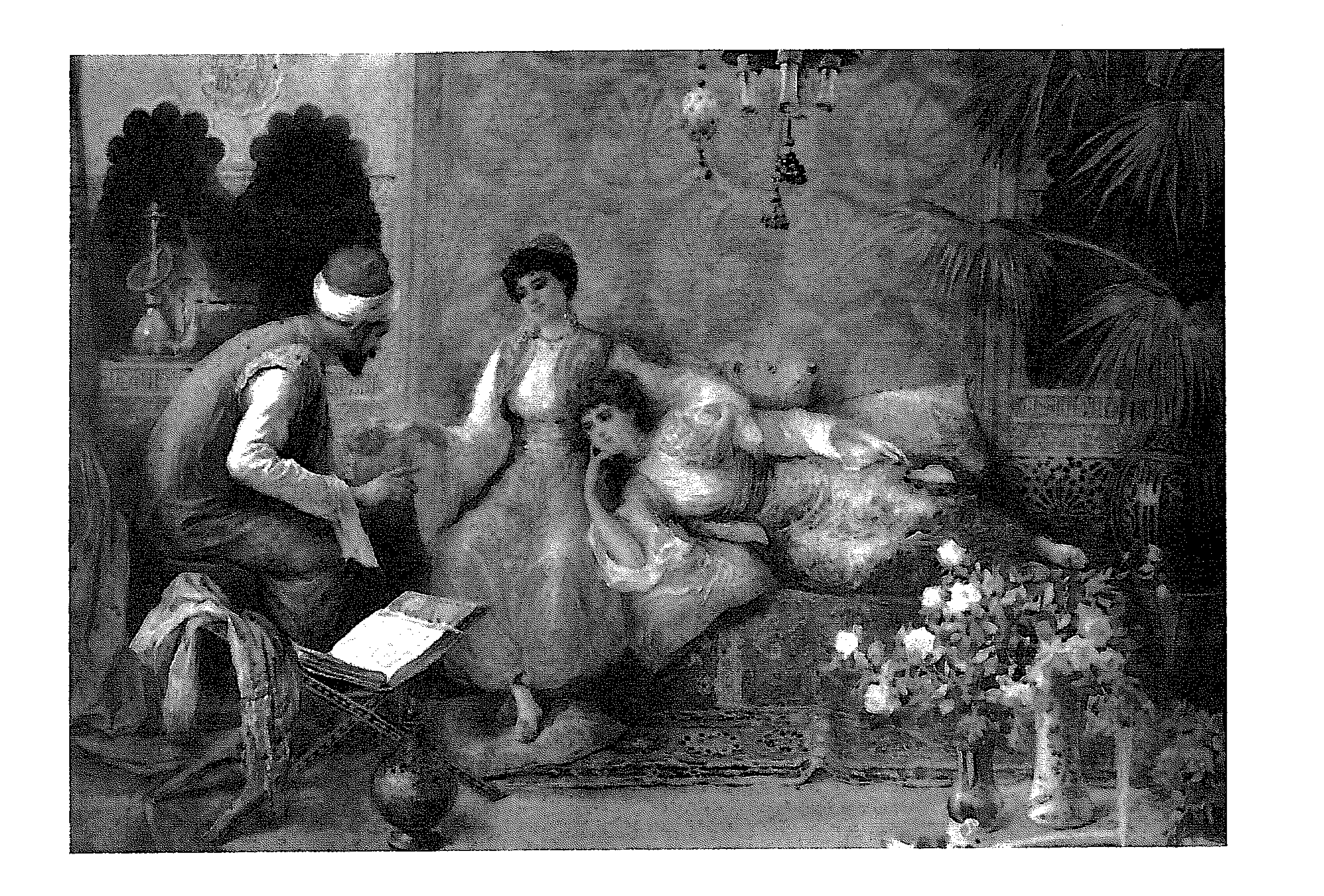
فردريك لويس : الكبابجى



والتر تيندال : بائع فاكهة بحي بولاق



ودفيج دويتش: عازف العود



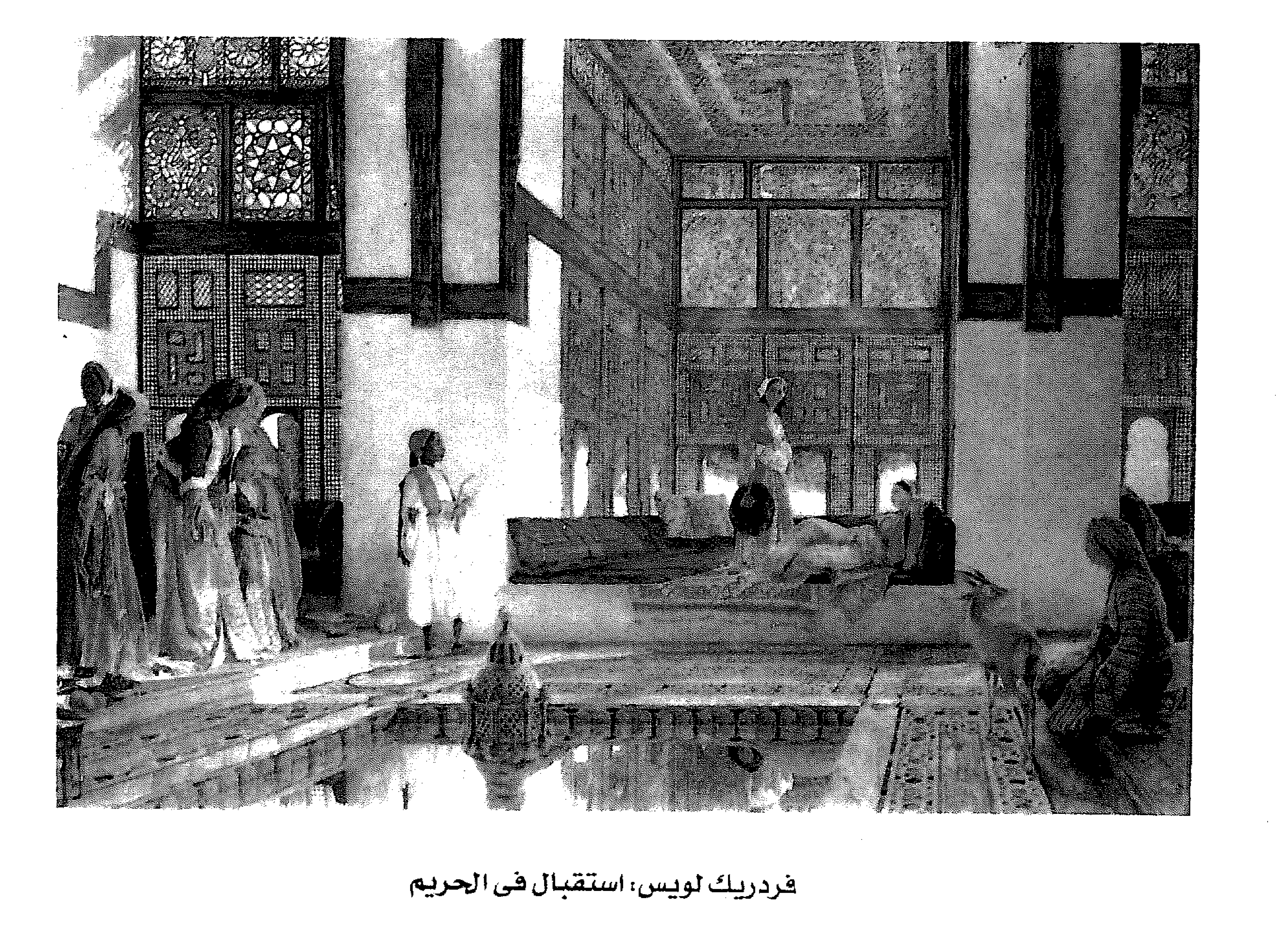
اميديو سيمونيتي: قارىء الطالع



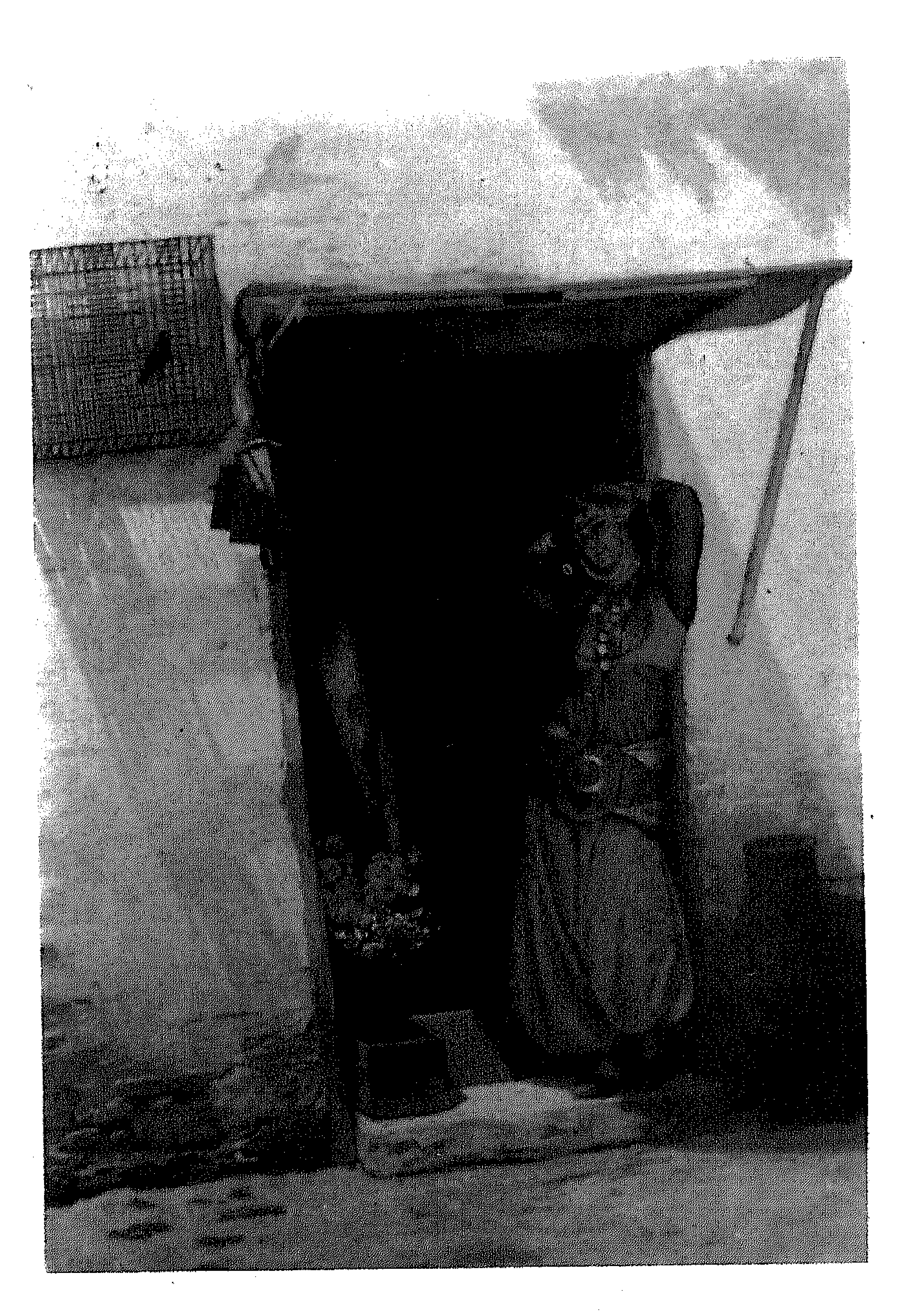
فابيو فابى : حفل زفاف بالقاهرة



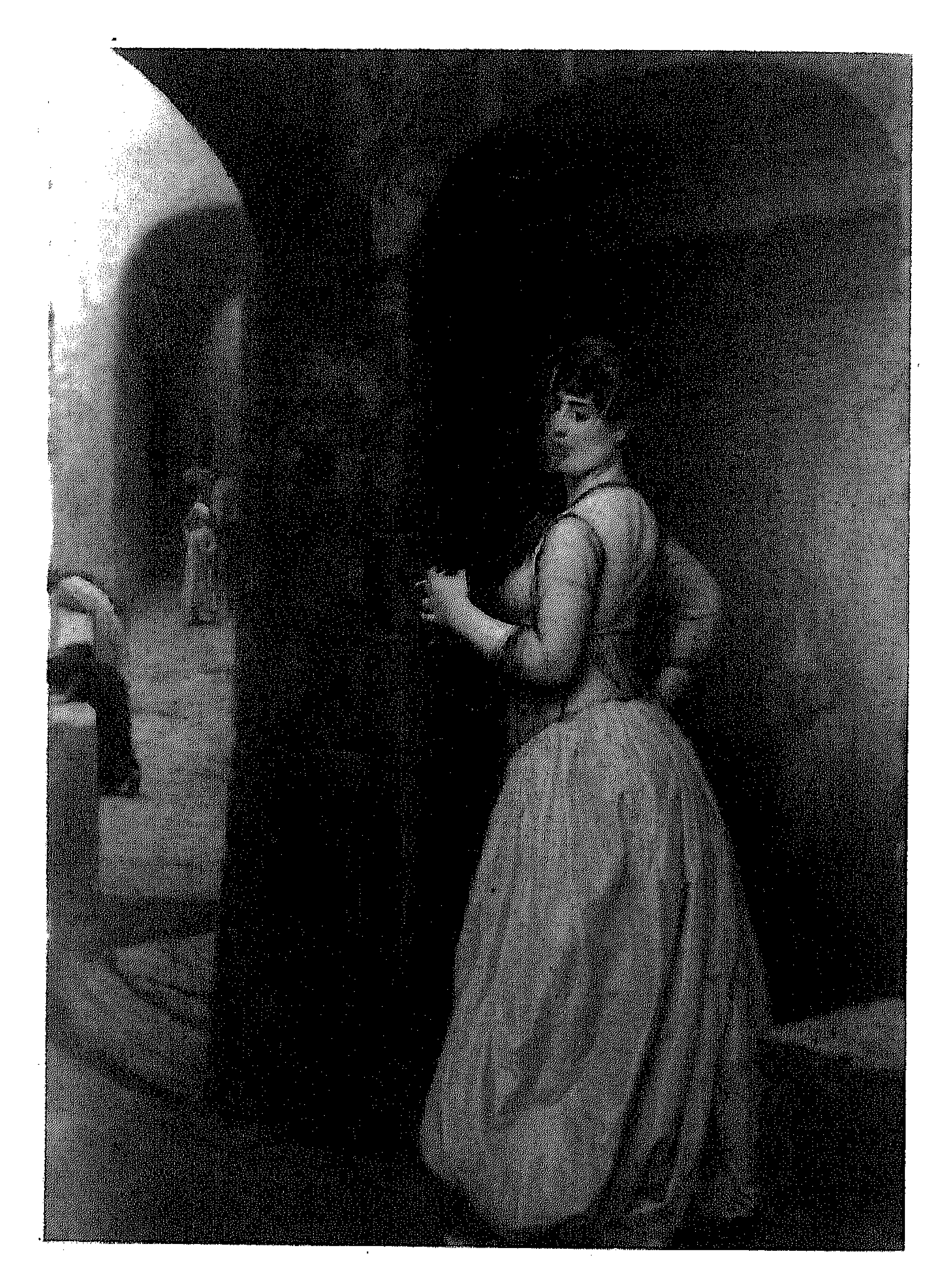
فردريك جودول؛ نور جديد فى الحريم



فردريك لويس: استقبال فى الحريم



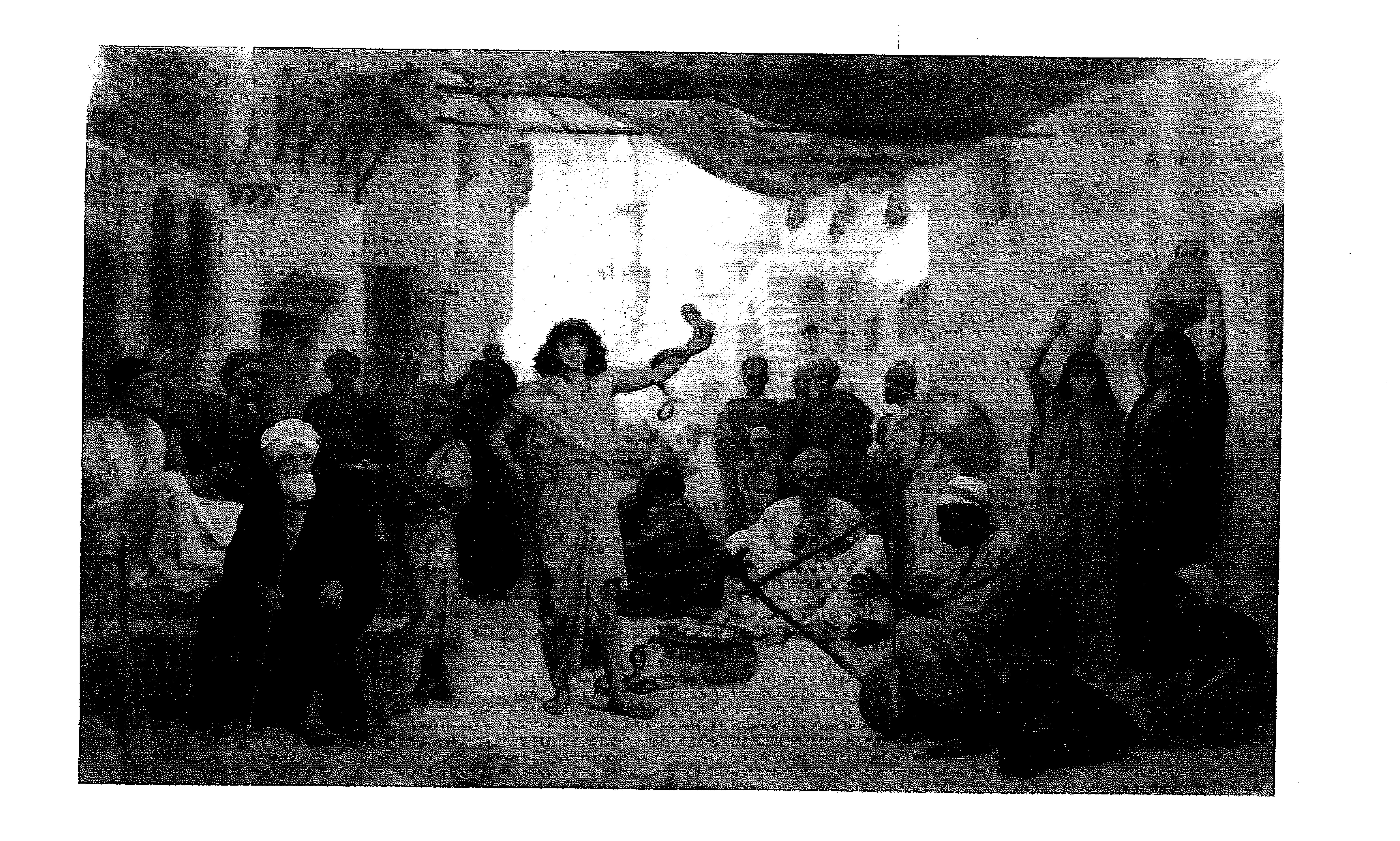
ج . ل. جيروم: غازية على باب دارها



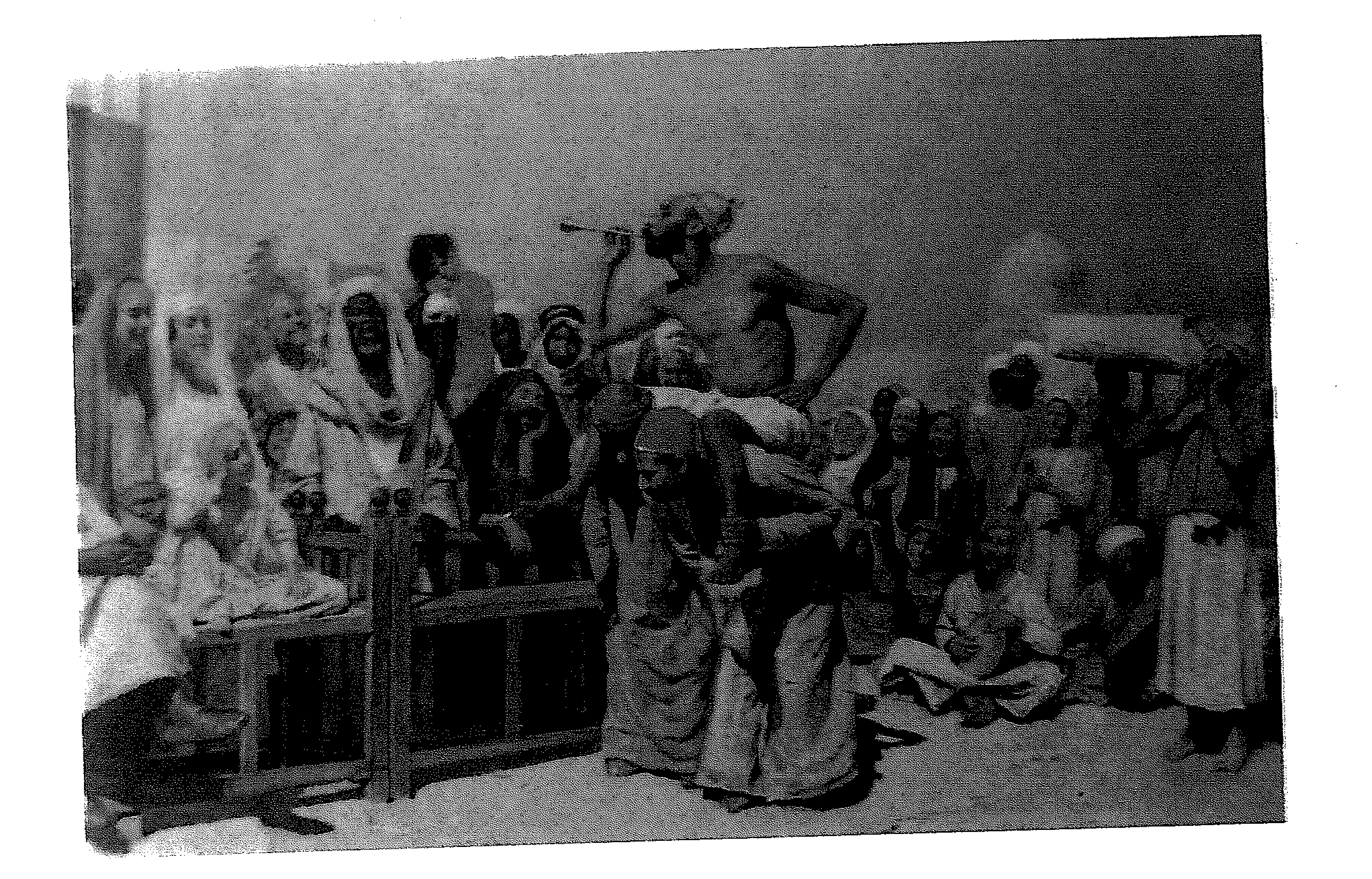
ج . ل. جيروم: امرأة من القاهرة



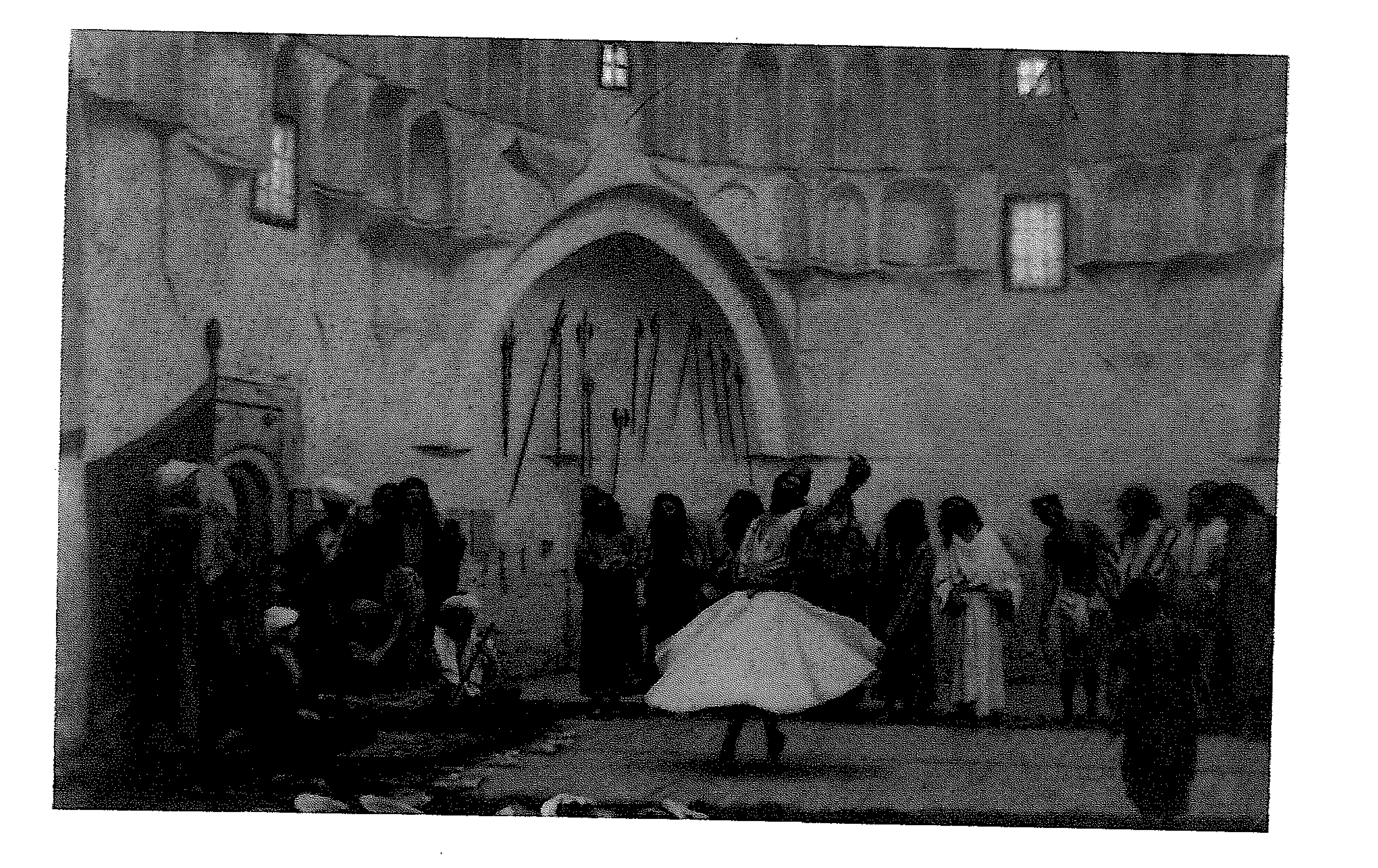
جوسيبى : مشهد من الحريم



فردريك جودول : مروضة الأفاعى

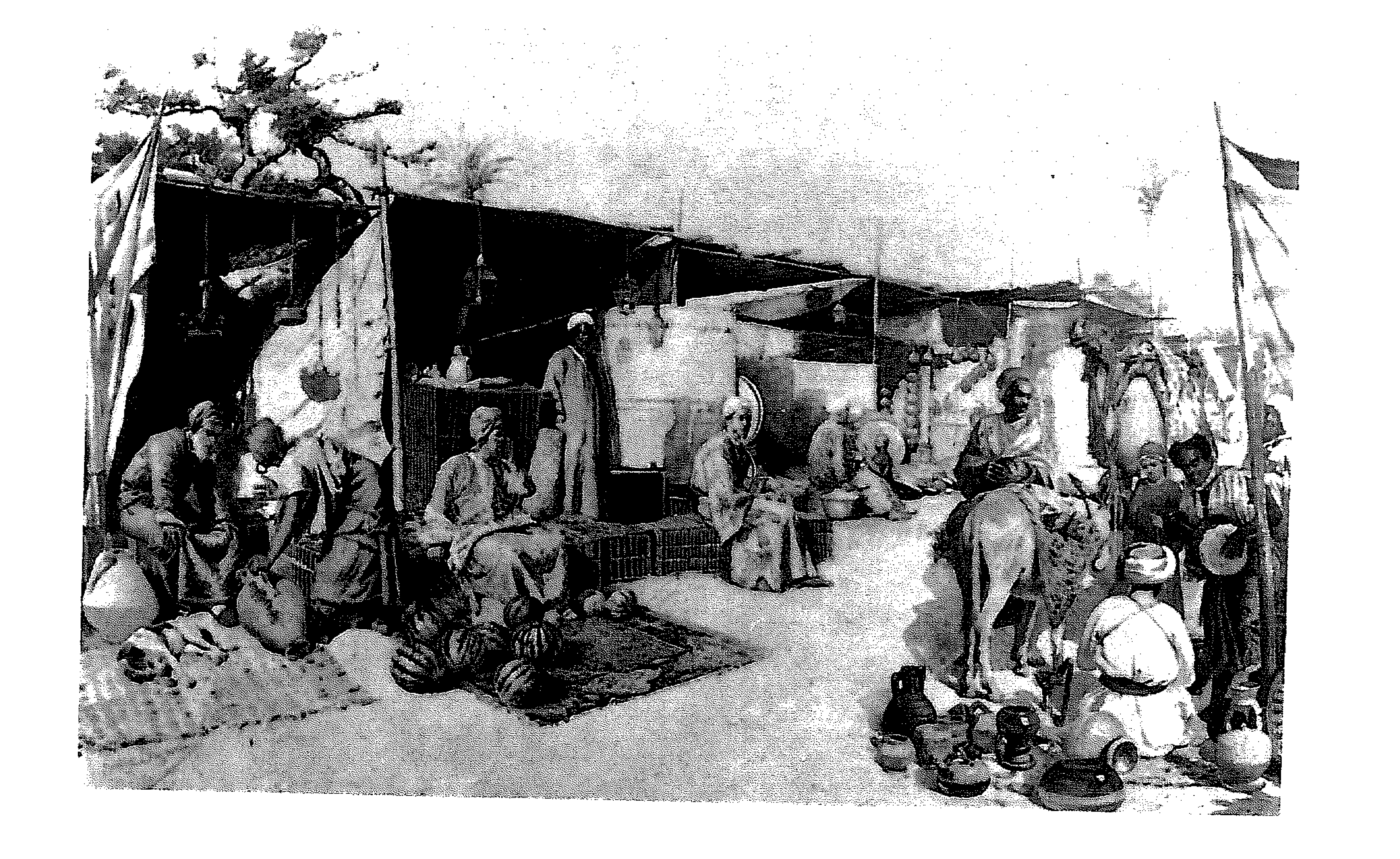


فردريك جودول :الحاوى

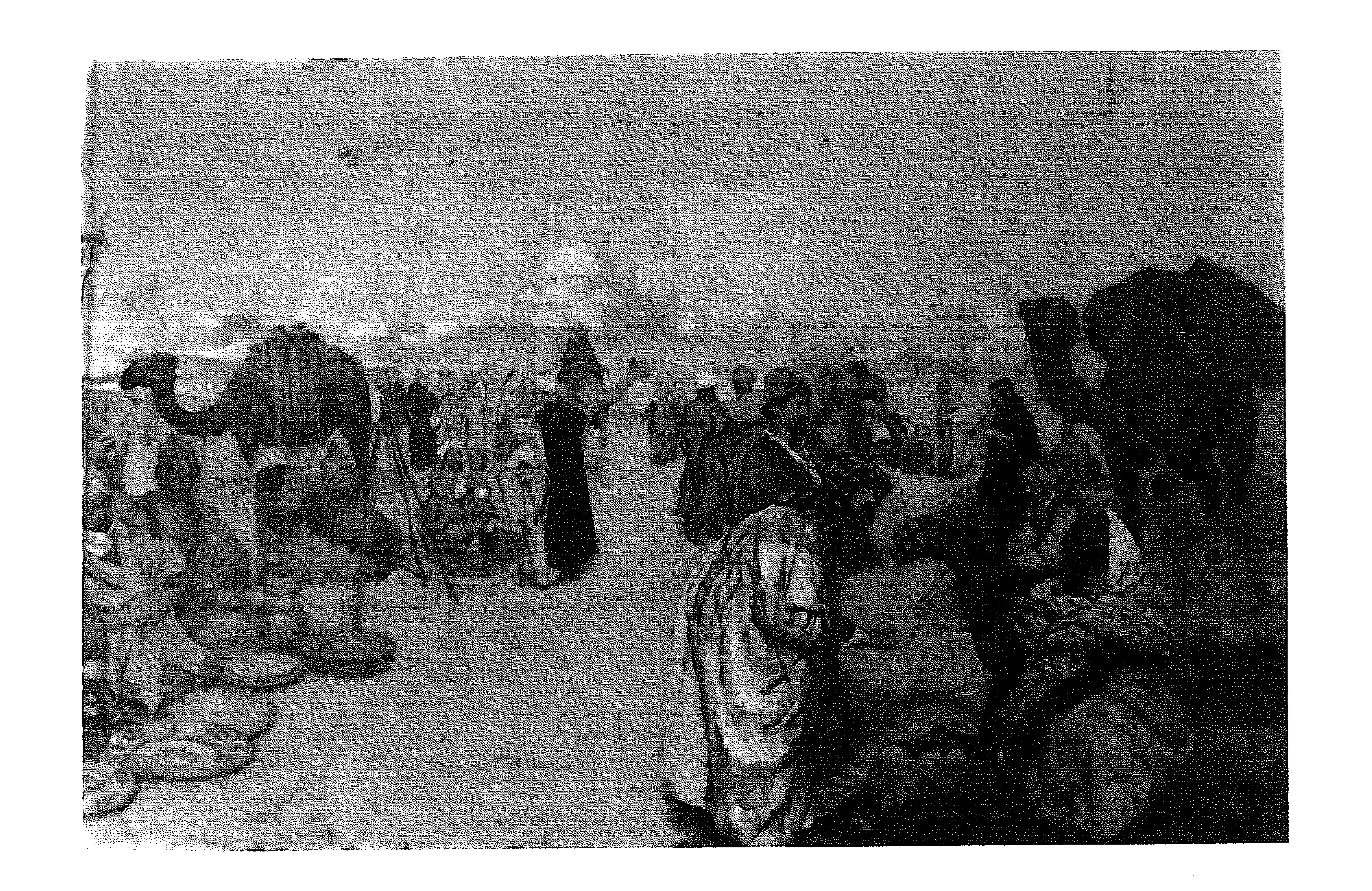


ج . ل. جيروم: الدراويش

إيتور سيمونتى: الحاوى



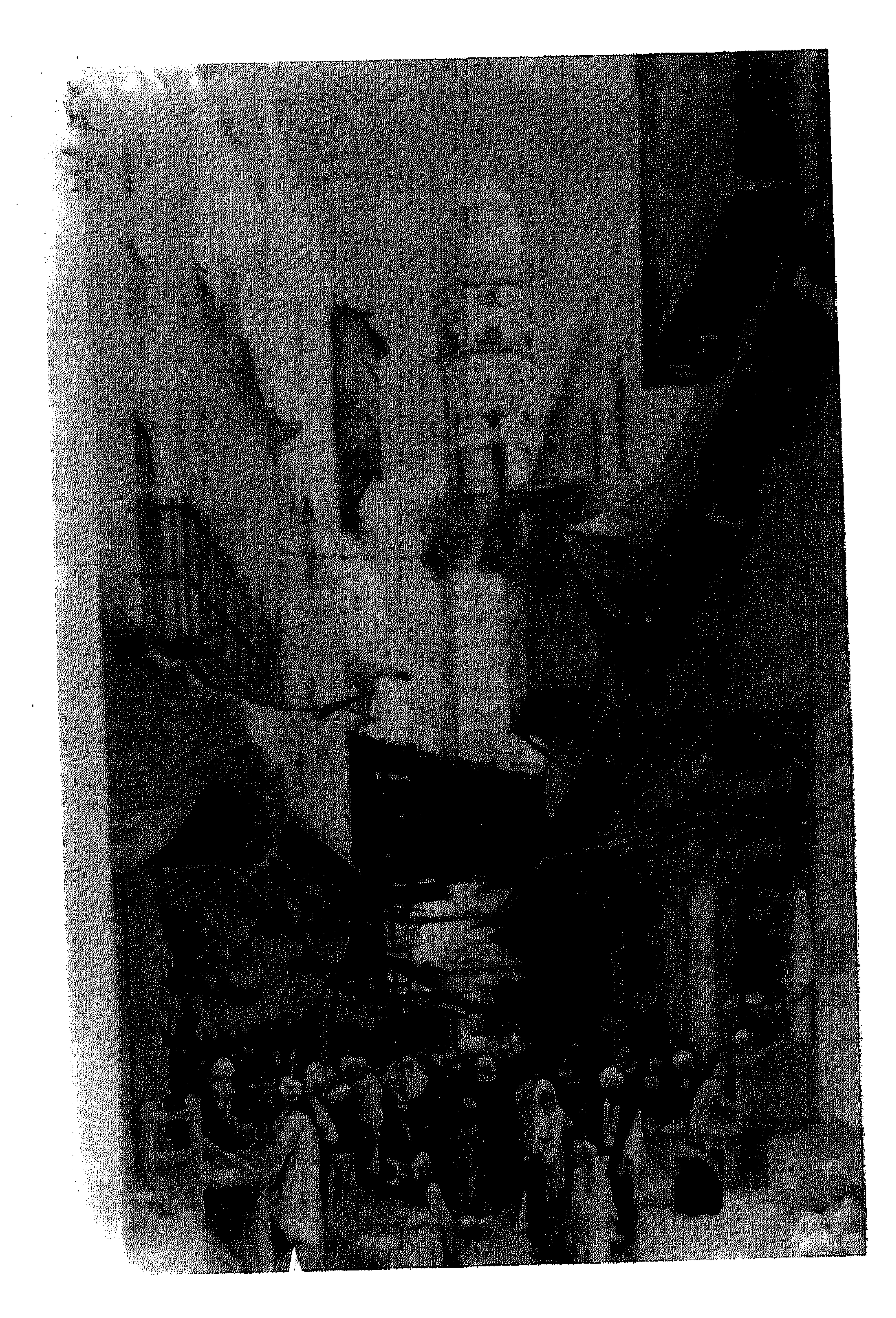
جوسيبى : سوق بضواحى القاهرة



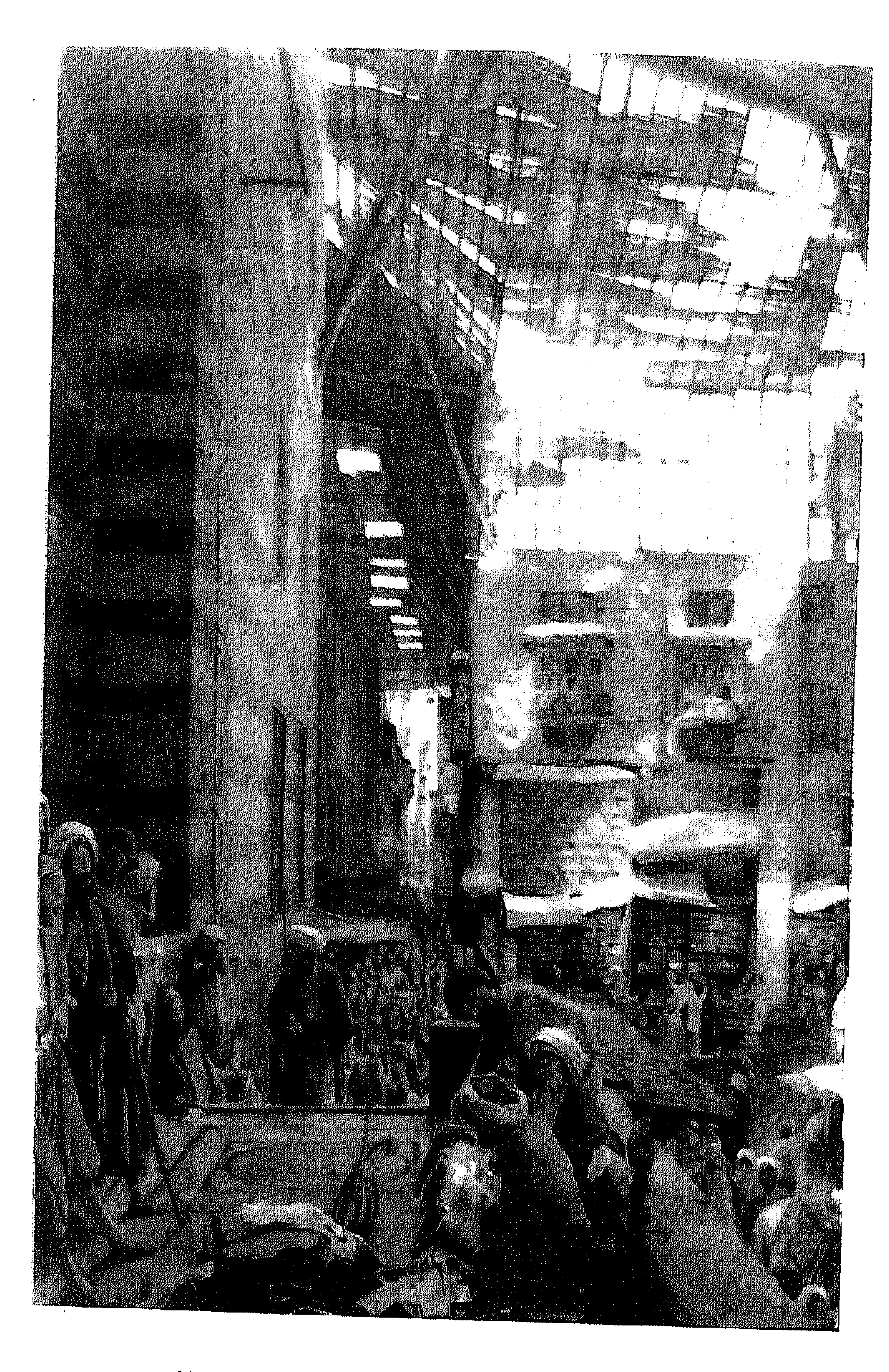
جوسيبى : مشهد من سوق بالقاهرة



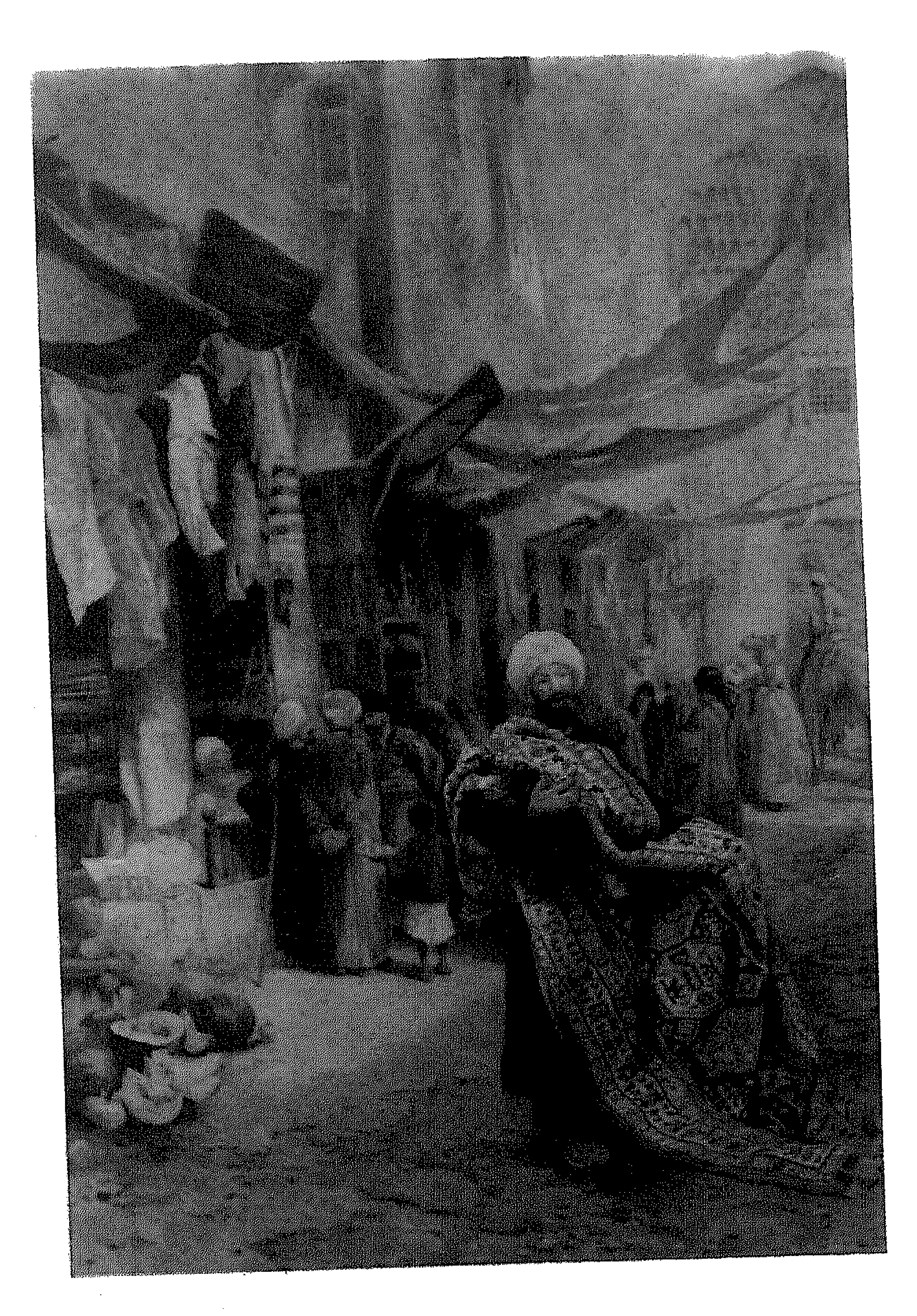
كارل مولر : سوق على أبواب القاهرة



دافيد سالمون: سوق بالقاهرة



فردريك لويس : مشهد من شارع وجامع السلطان الغورى



روبرتسون: بائع السجاد



ج. ل. جيروم: بائع السجاد



فابيو فابى : الجميلات وبائع المفروشات



فرانسيسكو باليسيو: فى السوق



روبرتسون: سوق السجاد بخان الخليلى

